مقدمة الدراسة

الحمد ﴿لله﴾ رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد الصادق الأمين ﷺ وبعد، فعلى الرغم من تناول الدين من المؤرخين أو الباحثين لتاريخ الدولة الحفصية، فإن موضوع الوزارة فيها لا يزال شائكًا ومتداخلًا. فلا يوجد من يهتم بالوزراء ودورهم، ولم تنفرد إطروحة بدور الوزراء في مختلف المجالات، لذلك عولت على إعادة النظر والدراسة في هذا الموضوع بالنسبة لتاريخ الدولة الحفصية لما يمثله من خطورة يجب الوقوف على أدواره وأنشطة الوزراء المختلفة من إبراز الدور الإيجابي للدولة الحفصية في المنطقة المحيطة بها وكذلك ظهور نصوص جديدة يمكن الاستفادة منها.

نفصل ما سبق فنقول: إن هذا الموضوع لم يحظ بدراسة مستقلة على الرغم من وجود دراسات طيبة عالجت العصر الحفصي، وعرضت له في سياق التاريخ الحفصي العام في صفحات قليلة من العديد من المراجع التى تناولت تاريخ الحفصيين، وضمن المقالات والدراسات العامة في تاريخ بلاد المغرب العام، ناهيك عن النظرة الهامشية من قبل المؤرخين لدور الوزراء في الدولة الحفصية وعدم تناول دورهم في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعمرانية بالصورة المطلوبة.

وهناك مشكلة أخرى تتعلق بالمادة التاريخية وطبيعتها في أغلبية المصادر تناولت التاريخ السياسي والحضاري والإداري للسلاطين الحفصيين، وأهملت دور الوزراء في الأنشطة المختلفة، لذلك كان لازمًا على الباحث أن يبحث

وينقب في السطور في كل ما كتب في بلاد المغرب عامة وإفريقية الحفصية خاصة من مخطوطات ومصادر عربية وأجنبية ودوريات من أجل إتمام هذا العمل.

ومن الجدير بالذكر أن الوزارة في الدولة الحفصية انقسمت إلى نوعين، ففي أطوار القوة والازدهار كان السلاطين الحفصيين يتميزون بالقوة والعظمة فاتخذوا الوزراء والحُجّاب لهم ولم يسمح السلاطين لوزرائهم بأن يتخذوا أية قرارات فردية إلا بعد الرجوع إليهم فكانت الوزارة في هذا الشطر ما هي إلا وزارة تنفيذ وخاصة في الطور الأول وبداية الثالث وعلى العكس من الطور الثاني للدولة وكذلك نهاية الطور الثالث والرابع، حيث ضعفت هيبة السلاطين وتولى عرش الدولة الحفصية سلاطين ضعاف، سيطر عليهم وزراء أقوياء، وصار الأمر والنهي والقرار كله بيدهم، وأصبحت الوزارة في أطوار الضعف وزارة تشريع حيث صار السلاطين ألعوبة في أيدي وزرائهم وحجابهم.

وقد اكتسب هذا الموضوع أهميته بسبب تعاظم دور الوزراء سواء في عهد السلاطين الأقوياء أو الضعاف في المجالات المختلفة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعمرانية سواء بالإيجاب أو السلب، وكان لطول فترة حكم الدولة الحفصية سبب من أسباب مرور الدولة بأطوار ضعف سيطر فيها الوزراء على مقاليد الحكم، وتفشي الصراعات والوشايات بين الوزراء وبعضهم البعض من أجل السيطرة على السلطان والحكم مما أثر بالسلب على شتى مناحي الحياة.

وبلغ نفوذ الوزراء مداه في عهد الضعف والانحلال ووهن السلاطين، مما أدى إلى انقسام الدولة الحفصية واتسعت إلى أكثر من إمارة، وكل سلطان يتحكم فيه وزير مستبد مسيطر، حبه للنفوذ والتملك وجمع الأموال أكبر من حبه لقوة الدولة مما أدى إلى انهيار الدولة الحفصية وزوالها من التاريخ على أيدي الأتراك لذلك كان لزامًا علينا محاولة الفصل أو التمييز بين أدوار الوزراء والحجاب من حيث القوة والسيطرة والتحكم في السلاطين، وبين الوزراء الذين انصاعوا إلى أوامر سلاطينهم وساهموا بطريقة إيجابية في بناء الدولة الحفصية في شتى المجالات وإعادة وضع مميزات وسلبيات كل من الوزراء وإظهارها للوجود، فضلًا عن تأطيرها جميعًا في التسلسل الزمني والبعد المكاني.

ولقد اعتمدت في معالجة هذا الموضوع على مناهج مختلفة حسب متطلبات البحث ووفق القواعد السليمة المتبعة من قبل الباحثين والدارسين فتارة نسرد معتمدين على الحدث التاريخي، وتارة نحلل ونستنبط النتائج، وتارة أخرى نقارن ونرصد، وباعتماد ذلك وحده بعد الله عز وجل توصل الباحث إلى نتائج قد تكون مقبولة، وننوه بأن تعويلنا على المنهج السردي الوصفي تعلق فقط بالأحداث المبهمة الأصلية، لذلك كان لزمًا علينا أن نجمع ما تناثر من معلومات بصددها وعرضها من أجل تقديم نسق وصفي واضح ومتكامل.

وقد قُسمِّ البحث إلى مقدمة اشتملت على خطة البحث والمنهج الذي اعتمد عليه الباحث في معالجة موضوع الأطروحة، ثم اتبعتها بدراسة لمصادر الرسالة ثم التمهيد لقيام وتطور الدولة الحفصية ومدخل لتطور نظام الوزارة في الدولة الحفصية ثم أربعة فصول تم تقسيمهم على النحو التالي:

الفصل الأول: دور الوزراء في الحياة السياسية:

ويتناول دور الوزراء في الفتن والثورات سواء كانوا هم المشجعين على قيام الثورات أو هم الذين قضوا عليها، وكذلك علاقة الوزراء بالسلاطين من حيث القوة والضعف، ومدى قوة الوزراء واستبدادهم إبَّان فترات ضعف السلاطين، وكذلك الوزراء ودورهم في البيعة لورثة العرش وكيف استفاد الوزراء من ضعف السلاطين وتحكمهم في أخذ البيعة لمن يعطيهم نفوذ وسيادة، ثم دورهم في الحروب الخارجية مع بني مرين وبني عبد الواد.

الفصل الثاني وعنوانه: دور الوزراء في الحياة الاقتصادية:

ويتناول دور الوزراء في الزراعة والحرف والصناعات والتجارة، وكيف ازدهرت هذه الأنشطة في عهد قوة الدولة، وكيف تدهورت في فترات نفوذ الوزراء والحجاب، ودور الوزراء في السياسة الجبائية، ثم تناولت أهم العوامل المؤثرة على النشاط الاقتصادي.

الفصل الثالث وعنوانه: الوزراء والحياة الاجتماعية:

ويتناول الباحث علاقة الوزراء بالعامة والمتصوفة، ودور الوزراء في الاحتفالات والحسبة والأحداث، وأهم الآفات الاجتماعية التى أصابت المجتمع الحفصي مثل: شرب الخمر واللواط والزنا والسرقة وغيرها من الآفات التى أدت إلى انهيار أخلاقيات المجتمع الحفصي إبَّان فترات ضعف السلاطين ونفوذ الوزراء.

الفصل الرابع بعنوان: دور الوزراء في الحياة الثقافية والعمرانية:

ويتناول الباحث دور الوزراء في الحياة التعليمية بإنشاء المدارس،

وعلاقتهم بالعلماء والأدباء، والمساهمة الفعالة في ازدهار الحركة الأدبية في العصر الحفصي، ثم دور الوزراء في الأدب، والمساهمة الفعَّالة في الحياة العمرانية في عهد السلاطين الأقوياء، بينما تدهور العمران ومعه التعليم والحياة الأدبية في فترات سيطرة الوزراء.

وأخيرًا الخاتمة والتى تتضمن أهم النتائج التى توصل إليها الباحث عن موضوع الدراسة.

obeikandl.com

دراسة لأهم مصادر ومراجع البحث

لقد اعتمد الباحث في تغطية مباحث هذه الرسالة مادة تاريخية ثرية متنوعة من خلال المصادر العربية المخطوطة والمطبوعة إلى جانب كثير من المراجع العربية والأجنبية والدوريات العربية والأجنبية.

أولًا: المخطوطات:

اعتمد الباحث على عدة مصادر مخطوطة كان أهمها على الإطلاق مخطوط لمؤلف مجهول عنوانه «ذكر بلاد أفريقيا وحدودها ولم سميت أفريقيا» حيث أفاد الباحث في ذكر أهم المدن الحفصية وحدودها وموقعها وبعض الأنشطة الاقتصادية تخدم موضوع الرسالة. واعتمد الباحث - أيضًا - على مخطوط **(الزهر الباسم في حوادث العمر والتراجم)** لمؤلفه ابن عبد الباسط خليل بن شاهين المتوفي عام ٩٢٠هـ/١٥١٤م، ويتميز هذا المخطوط بذكر أحداث الدولة وخاصة في الفترة الأخيرة من الضعف والانحلال في ظل تخبط المصادر الأخرى في تقييم تلك الفترة.

كما استفاد الباحث من مخطوط لمؤلف مجهول تحت عنوان «رسائل متبادلة بين ملوك الأندلس وسلاطين بني مرين»، وهو مخطوط موجود في معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية استفاد منه الباحث في دور الوزراء الحفصيين في أفريقية وعلاقاتهم مع سلاطين بني الأحمر وبني مرين، كما استفاد الباحث من عدة مخطوطات أخرى استطاع أن يستفيد منها ضمن بحثه في شتى الفصول منها مخطوط **(دراسة السلوك في سياسة الملوك)** لأبى حمو موسى المتوفى ٧٩١هـ/١٩٨٠م حيث أمدنا هذا المخطوط بمعلومات عن حروب بني حفص الخارجية مع بني زيان ودور الوزراء فيه.

وكذلك مخطوط **(نظم الدرر والعقيان في بيان شرف بني زيان)** لمؤلفه محمد أبو عبد الله التنسي (توفى ٨٩٩هـ / ١٤٩٣م) حيث يعطينا معلومات عن دور وزراء بني حفص في العلاقات مع بني عبد الواد.

استفاد الباحث من كتاب **(العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب، والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)**.

ابن خلدون عبد الرحمن ت / ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م، طبعة دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت ١٩٨٣م، ويعتبر هذا الكتاب من أهم المصادر التى تناولت تاريخ الدولة الحفصية على الإطلاق حيث شارك ابن خلدون في الأحداث السياسية التى مرت بدولة بني حفص وكذلك شارك في الوزارة وتقلدها حتى وصل إلى أعلى درجات السلم الوظيفي والطبقي، فهذا المصدر يمدنا بمعلومات هامة عن دور الوزراء في الحياة السياسية والاجتماعية والعمرانية والثقافية وخاصة الجزء السادس والسابع وأسهب في الحياة السياسية للدول، ودور الوزراء في الحروب والفتن والثورات، وعلاقة الوزراء بالسلاطين وورثة العرش ولكننا لا ننسى بأنه شارك في المؤامرات والدسائس للوصول إلى السلطة بشتى الطرق الشرعية والغير شرعية.

كما استفاد الباحث من كتاب **(تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية)** الذي يعتبر من أهم الكتب التى تحدثت عن الدولة الحفصية للمؤلف الزركشي واستفاد الباحث في كتابة التاريخ السياسي للوزراء والحجاب، وذكرَ إشارات عن دور الوزراء والحجاب في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعمرانية.

كما استفاد الباحث من كتاب ابن الشماع ت-٨٦١هـ / ١٤٥٦م بعنوان **(الأدلة البينية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية)**، حيث شغل المؤلف منصبًا هامًا داخل الدولة ورصد أهم أعمال السلاطين الحفصيين ووزرائهم وحجابهم ودورهم في الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية والعمرانية، فهو من الكتب المهمة في الكتابة عن الدولة الحفصية، حيث تكلم عن العملة وغيرها من العلاقات التجارية مع البلاد المجاورة.

واستفاد الباحث بالكتاب **(الفارسية في مفاخر الدولة الحفصية)** لابن القنفذ[1] حيث أبرز فيه كل مناقب الدولة الحفصية ورصد سلاطينهم وأعمالهم ووزرائهم ودورهم السياسي والاقتصادي وذكر معلومات عن الحياة الاقتصادية والمعاملات التجارية ودور الوزراء في العلاقات التجارية مع الدول المجاورة.

واستفاد الباحث من كتاب المؤلف أحمد بن يحيى الونشريسي **(المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقيا والأندلس والمغرب)** وتكمن أهميته ككونه من النوازل الهامة التى تتناول دراسة التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والديني لكثرة ما به من فتاوى، ويعطينا صورة واضحة عن حياة المجتمع الحفصي ودور الوزراء في المجتمع وكذلك يتناول انتشار الغش والفساد والآفات الاجتماعية التى انتشرت في المجتمع الحفصي في فترات الضعف واستبداد الوزراء وكذلك الأحباس والحبسة.

(١) عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٧١، ص٢٠-٢١.

واستفاد الباحث أيضًا من كتاب **(جامع مسائل الأحكام لما نزل بالقضايا والحكم)** والمعروف بفتاوى البرزلي لأحمد بن محمد البلوي الشهير بالبرزلي، فهو يعتبر من أهم كتب النوازل التى تعرضت للتاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي للدولة الحفصية، حيث اعتمد عليه الباحث في جميع فصول الأطروحة، حيث عالج المؤلف أهم القضايا التى انتشرت في المجتمع الحفصي في جميع المجالات، وأسهب في الحديث عن أهم المشكلات والآفات الاجتماعية والاقتصادية التى ظهرت في المجتمع الحفصي.

كتاب **(المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن)** لعبدالله بن مرزوق الخطيب التلمساني ت ٧٨١هـ /١٣٧٩م، ويحتوي هذا الكتاب على معلومات تاريخية تخدم الفترة التاريخية المضطربة في تاريخ الدولة الحفصية في وقت وصلت فيه الدولة المرينية إلى قمة مجدها السياسي والحربي، ويعطينا معلومات عن حملة السلطان أبي الحسن المريني على الدولة الحفصية بصحبة الوزير الحفصي ابن تافراجين.

كان لكتب الجغرافيا والرحلات فائدة وأهمية عظيمة في إتمام هذه الأطروحة، فكان (كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار) لمؤلف مجهول يرجع إلى عام ٥٨٧هـ / ١١٩١م مفيدًا للباحث في إيضاح الحالة الاقتصادية في المنطقة وخاصة التجارة، وتحدث المؤلف عن طرق ومسالك التجارة الداخلية والخارجية.

الحسن الوزان: ابن محمد الوزان الفاسي المعروف باسم ليون الإفريقي (ت ٩٥٧هـ / ١٥٥٠م).

- وصف أفريقيا.

- ترجمة من الفرنسية إلى العربية د. عبد الحميد حميدة وراجعه د. على عبد الواحد وافي.

- نشر المملكة العربية السعودية – الرياض ١٩٧٩م.

يعتبر كتاب **(وصف أفريقيا)** للحسن الوزان من أهم المصادر التى أفادت الباحث، حيث يتناول المدن المغربية التى تهدمت وتخربت نتيجة للثورات ضد الدولة وقضاء الوزير عليها وما نتج عن ذلك من تهدم وتخريب ونسف للموارد الاقتصادية وذلك يعتبر رحلة الوزان إلى أهم المدن وما الذي طرأ عليها من تغير نتيجة الحروب والثورات التى شارك فيها الوزراء.

ومن هنا كانت رحلة الوزان داخل بلاد المغرب أصدق مرآة لما حدث لتلك المدن من تخريب وتدمير.

ويعتبر كتاب ياقوت الحموي **(معجم البلدان)** توفي (٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) فيعتبر من أهم الكتب الجغرافية التاريخية حيث يجمع مادة تاريخية وجغرافية غزيرة استفاد منها الباحث في وصف مدن إفريقية الحفصية، وتكمن أهميته في خدمة الجانب الاقتصادي حيث ذكر أهم المنتجات الزراعية والصناعية والنشاط التجاري.

واستفاد الباحث من كتاب **(مسالك الأبصار في ممالك الأمصار)** لابن فضل الله العمري ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٩م) حيث وفر مادة تاريخية وجغرافية هامة أفادت في إتمام هذا البحث.

واستفاد الباحث من كتاب الكفيف الزرهوني (الملعبة) تحقيق: محمد بن شريفة – المطبعة الملكية – الرباط ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧.

تعتبر **(الملعبة)** للكفيف الزرهوني من أهم مصادر التاريخ المريني والحفصي وخاصة فترة السلطان ابن الحسن المريني حيث يتناول حملة السلطان أبي الحسن المريني على إفريقية ومدى الضعف الذي وصلت إليه الدولة الحفصية.

وتكمن أهمية هذا المصدر لأن المؤلف كان معاصرًا للأحداث وشارك في الحملة حيث صور لنا رأي بعض الوزراء معارضة قيام الحملة ومنهم الوزير عيسى بن الحسن. ويعطينا الكفيف أسباب للثورات مثل المعارضة على قيام الحملة وكذلك الغلاء وفقدان الماء في أثناء الحروب، ويعتبر هذا المصدر صورة صادقة للأحداث التى سبقت حملة السلطان، وكذلك أحداث الحملة وما ترتب على عليها من ثورات وخاصة ثورة السلطان أبى عنان ضد والده السلطان أبى الحسن وبالتالي فقد ملكه وسلطانه وعرشه.

ولكنه لم يذكر دور الطبقات الأخرى في أثناء الحملة على إفريقية، وترجع أهميته لوصفه لتحركات الحملة من فاس حتى تونس، وخروج الوزير الحفصي ابن تافراجين مع السلطان ابن الحسن المريني، ودوره في السيطرة المرينية على تونس، وما ترتب على ذلك من تمكن المرينين من دخول تونس لمساعدة الوزير ابن تافرجين.

أبو الحسن بن عبد الله بن أبي زرع الفاسي (توفي ٧٢٠هـ / ١٣٢٠).

- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ

مدينة فاس – دار المنصور للطباعة – الرباط ١٩٧٢.

- الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية – دار المنصور للطباعة والوراقة – الرباط – ١٩٧٢.

يعتبر ابن أبي زرع من مؤرخي دولة بني مرين حيث عاصر الأحداث التى أدت إلى قيام ونهوض دولة بني مرين والدولة الحفصية، وتعتبر مؤلفاته مصدرًا لا غنى عنها للدراسة في دولة بني حفص حيث رصد في كتابه **(الأنيس المطرب)** الثورات وأسبابها من مجاعات وأوبئة وكذلك في كتابه **(الذخيرة السنية)** حيث ركز على الأحداث السياسية للدولة، وتناول أيضًا سيرة السلاطين وأهم أعمالهم ولم يركز على الطبقات الاجتماعية المختلفة ودورها في الدولة وهذا الكتاب كان ينسب لمؤلف مجهول، ولكن النسخة التى استخدمها الباحث قد نسبت إلى ابن أبي زرع على يدي الأستاذ عبد الله كنون الذي نشر بحثًا في مجلة تطوان قارن فيه بين عبارات كتاب الأنيس المطرب فوجد أن الكلام واحد لذلك نسب الكتاب إلى صاحب الأنيس المطرب هو ابن الأحمر. ويتميز المؤلف بابتعاده عن طريقة الحوليات والتى سار عليها معظم المؤرخين.

وتعتبر رحلة التجاني من الرحلات الهامة التى تخص فترة الدولة الحفصية حيث تجول التجاني في البلاد الحفصية ودون كل مشاهدته من وصف عمراني واجتماعي وسياسي واقتصادي للمدن والقرى التى مر عليها وقدم لها وصفًا دقيقًا واتصل بعلماء وصلحاء هذه المدن التى مر بها، فكان الكتاب نعم المفيد للباحث في بحثه.

واستفاد الباحث من مؤلفات ابن الخطيب (لسان الدين بن الخطيب

السلماني الذي توفى سنة ٧٧٦هـ - ١٣٧٤)، حيث تعتبر مؤلفاته لسان الدين بن الخطيب من أهم المصادر التى اعتمد عليها الباحث، لأنه شاهد عيان للأحداث التى حدثت في فترة الدراسة وله عدة مؤلفات كان لابد من الاعتماد عليها، لأنها احتوت بين صفحاتها على مادة تاريخية وفيرة حيث المؤلف نفسه قد شارك في أحداث كثيرة إبَّان تلك الفترة، ومن هذه المؤلفات **(نفاضة الجراب في علالة الاغتراب)** – تحقيق أحمد مختار العبادي، مراجعة عبد العزيز الأهواني دار الكتاب العربي للنشر، الجزء الثاني، حيث تحدث ابن الخطيب عن الأحداث السياسية للدولة الحفصية وعلاقتها بالدولة المرينية وأهم أحداث أفريقية في العهد الحفصي وتناول الكتاب أيضًا آثار الجفاف على الحياة الاقتصادية والاجتماعية وكذلك الطاعون الأسود وأثره على البلاد في شتى النواحي ولكنه لم يذكر تفاصيل هذا الطاعون وآثاره، وله - أيضًا - كتاب (الإحاطة في أخبار غرناطة) أربعة أجزاء، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخارجي، القاهرة، ١٩٨٣، ويعتبر من أهم المصادر لما يحمله من مادة تاريخية تفيد في النواحي السياسية والعلاقات بين بلاد المغرب وبعضها البعض وغرناطة، وكتاب (كناسة الدكان بعد انتقال السكان) تحقيق محمد كمال شبانة مراجعة: د. حسن محمود – وزارة الثقافة – المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، دار الكتاب العربي، حيث يقدم الكتاب معلومات عن الحياة الاجتماعية والسياسية لتلك الفترة.

وله - أيضًا - كتاب **(ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب جـ ١، ٢)** فيعتبر من المصادر الهامة؛ حيث يحمل وثائق هامة ومراسلات بين ملوك المغرب وغرناطة عن أهم الأحداث السياسية بين الدولتين وكان تركيزه على

العلاقات السياسية والحوادث التاريخية.

وله كتب أيضًا أخرى مثل (اللمحة البدرية في الدولة النصرية) تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، حيث سلط الضوء على الأحداث التاريخية السياسية في المنطقة وذكر بعض سلاطين الدولة الحفصية وأهم أعمالهم وعلاقتهم بالدولة المرينية وغرناطة.

واستفاد الباحث من مؤلفات أبى الوليد إسماعيل بن يوسف بن الأحمر توفي سنة ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م) وله مؤلفات عظيمة منها (روضة النسرين في دولة بني مرين) تحقيق عبد الوهاب بن منصور – ط٢ – الرباط ١٩٩١، وكتاب (النفحة النسرينية واللمحة المرينية) – تحقيق عدنان محمد آل طعمة مطبعة الشام بدمشق، ١٩٩٢.

وكذلك (تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان) – تحقيق: هاني سلامة – الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، وكذلك كتاب **(نظم فرائض الجمان في نظم فحول الزمان)**، تحقيق محمد رضوان الداية دار الثقافة بيروت، ١٩٦٧ وكتاب بيوتات فاس الكبرى، الرباط، ١٩٧٢، وكتاب **(مستودع العلامة ومستبدع العلامة)**. تحقيق محمد تاويت التتطواني، منشورات كلية الآداب والعلوم السياسية، جامعة محمد الخامس، الرباط، ففي هذه المؤلفات قام بسرد تاريخ السلاطين وأهم الأحداث السياسية في بلاد المغرب ولأهم الوزراء والحجاج ودور الدولة الحفصية في المنطقة فكانت هذه المؤلفات نعم المفيد للباحث.

واستفاد الباحث من كتاب مرمول كربخال، ألّف الكتاب في النصف

الثاني من القرن السادس عشر الميلادي وهو مؤلف من ثلاثة أجزاء وما يفيد الباحث منه جزآه الأول والثاني، ويحمل الكتاب عنوان: (أفريقيا)، وترجع أهمية هذا المصدر بأنه رحلة من أهم الرحلات التى تمت داخل المغرب فرصد طرق التجارة داخل البلاد وذكر أصل بني حفص والقبائل العربية والبربرية وذلك في الجزء الأول، أما الجزء الثاني، فتناول مدن مغربية وأهم أنشطتها الاقتصادية والعمرانية وأثر الحروب في تدمير هذه المدن.

واستفاد الباحث من كتاب **(صبح الأعشى في صناعة الإنشاء)** للقلقشندي فهو يذخر بمعلومات طيبة وردت خلال الجزء الخامس والسابع والثامن فتحدث فيها عن أصل ونسب بني حفص وتناول أمراء وسلاطين الدولة وصراعهم مع الموحدين والمرينيين وبني عبد الواد وذكر معلومات هامة عن النظم الاقتصادية والسياسية لدولة بني حفص.

واعتمد الباحث على بعض الوثائق الأجنبية ومنها

De mas Latrie: Les Relations de Chiretiens Aves Arabes De L' afrqiue sepentrionale, Paris. ١٨٦٦.

حيث تناول أهم المعاهدات والعلاقات التجارية بين السلاطين والوزراء الحفصيين وملوك الدول الأوروبية المعاصرة للدولة الحفصية، وتناول كذلك أهم السلع والصناعات المتبادلة بين هذه الدول وبعضها البعض، كما أعطانا صورة لأهم الأحداث السياسية في الدولة الحفصية ودور الوزراء في هذه الأحداث.

واستفاد الباحث - أيضًا - بالوثائق الإيطالية التى نشرها المؤرخ Michele Amari عام ١٨٦٣ وهي مترجمة إلى اللغة العربية، حيث تناول

مراسلات ذات أهمية عظيمة بين السلاطين والوزراء الحفصيين والجمهوريات الإيطالية فأعطتنا معلومات ومادة تاريخية عن التجارة والعلاقات التجارية بين المدن الحفصية وبيزا وجنوا والبندقية وآراجون، وكذلك لأهم المعاهدات التى تمت في هذه الفترة وشارك فيها الوزراء الحفصيين.

واعتمد الباحث على عدد كبير من المراجع العربية منها كتاب **(سوسيولوجيا الفكر الإسلامي)** للأستاذ الدكتور/ محمود إسماعيل حيث أفاد الباحث للتعرف على الأنشطة المختلفة لدول المغرب عامة والدولة الحفصية خاصة ورصد المؤلف أهم الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في أطوار الازدهار وكذلك أطوار الانهيار فكانت نعم المفيد للباحث في هذا البحث.

كما اعتمد الباحث على عدد كبير من المراجع العربية منها كتاب أ.د./ سامية مسعد بعنوان (الحرب والطبيعة) الغني بمعلوماته ومادته التاريخية عن أحوال البلاد في المغرب الأقصى والأدنى والأوسط، فهو كتاب على رغم صغر حجمه لكنه أفاد الباحث في رصد أهم الأوبئة والمجاعات التى ألمت بالدولة الحفصية وبلاد المغرب.

واستفاد الباحث من كتاب برنشفيك (تاريخ إفريقية في العهد الحفصي)، حيث كان هذا الكتاب من أهم الكتب التى تخدم تاريخ الدولة الحفصية على جميع الأصعدة وكان نعم المفيد للباحث في إتمام بحثه.

كما استفاد الباحث من كتاب المطوي بعنوان (السلطنة الحفصية)، حيث ركز المؤلف على التاريخ السياسي للدولة الحفصية، ودور الوزراء السياسي للدولة.

الدوريات والمجلات العلمية:

تذخر الدوريات والمجلات العلمية بالكتابات والمقالات التى أمدت الباحث بالمادة العلمية التى تخدم الجانب السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والعمراني خلال فترة البحث ومن هذه الدوريات مجلة دعوة الحق ومجلة البحث العلمي ومجلة كلية الآداب الصادرة عن جامعة الكويت ومجلة المناهل والأصالة وغيرها من الدوريات القيمة.

وكان على الباحث دراسة هذه الكتابات وتقصى الحقائق من بين ثنايا السطور لاستخلاص أدوار الوزراء في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعمرانية حيث لاقى الباحث صعوبات جمة من أجل رصد هذه الأدوار؛ بسبب تداخلها وقلة المصادر عن الأدوار الاجتماعية للوزراء.

في النهاية فلابد من الاعتراف بالجميل وتقديم الشكر الجزيل لأستاذتي الجليلة **الأستاذة الدكتورة/ سامية مصطفى مسعد** التى شملتني برعايتها العلمية ووفرت لي كل سبل المعرفة من أجل إتمام هذا البحث فكانت نعم الأستاذ والعالم المرشد الناصح الفاضل، محبًا للخير متواضعًا لله عز وجل تحمل في نصائحها همسات الأم الحنون فلم تبخل علي بشيء فكانت كريمة في نصائحها وإرشاداتها وما قدمته لى من كتب قيمة من مكتبتها الخاصة بما تحتويه من كنوز تشعل طريق الباحث نورًا من المادة التاريخية فكانت سندًا للباحث في إتمام هذا البحث، بالإضافة إلى ملاحظاتها وتعليقاتها الدقيقة السديدة على كل فقرة من فقرات هذه الأطروحة وتشجيعها لي في أوقات كثيرة فقدت فيها

أمل البحث والتنقيب بسبب صعوبة ووعورة الدراسة فلولاها لم استطع إنجاز هذه الدراسة على هذا الوجه.... حفظها الله لطلاب العلم وأبقاها حارسًا ونبراسًا للعلم والمعرفة لتكمل حلقة التأليف والتأريخ التى بدأها والدها رحمه الله الأستاذ الدكتور/ مصطفى مسعد العالم العلامة المؤرخ الرحالة صاحب المؤلفات التى تذخر بها المكتبات العامة في جميع أنحاء العالم الإسلامي.

obeikandl.com

تمهيد للدراسة

أولًا: أصل كلمة الوزارة واشتقاقها:

ثانيًا: تطور نظام الوزارة:

ثالثا: قيام وتطور الدولة الحفصية:

obeikandl.com

أصل كلمة الوزارة واشتقاقها:

كان لفظ الوزارة واشتقاقه موضع اختلاف بين اللغويين والكتاب والمؤرخين والمفسرين فقيل أن الوزارة مأخوذة من الوزَرَ بمعنى الملجأ والمعتصم بفتح الواو والزاى كما فى قوله تعالى: ﴿**كَلاَّ لا وَزَرَ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ**﴾(١) لأن السلطان أو الخليفة يلجأ إلى رأيه ومعونته وتدبيره لأن الوزير عليه مدار السياسة واليه تفويض الآمال بفكره الثاقب(٢). وقيل أنه مأخوذ من الوزْر بكسر الواو وسكون الزاي، بمعنى المثقل(٣) كما فى قوله تعالى: ﴿**وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِى أَنْقَضَ ظَهْرَكَ**﴾(٤) فاسعد السلاطين هو الذى له وزير صدق. إن نسى ذكَّره وإن ذكر أعانه(٥)، وصدق قول الرسول (ﷺ) فقال: **«إذا أراد الله بالأمير خيرًا، جعل له وزير صدق إن نسى ذكّره، وإن ذكر أعانه، وإذا أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء، إن نسى لم يذكَّره وإن ذكر لم يعنه»**(٦)

---

(١) القرآن الكريم: سوره القيامة آية رقم (١١، ١٢).

(٢) الزبيدى (محب الدين أبى الفيض محمد مرتضي): تاج العروس بن جواهر القاموس، دار مكتبة الحياة، بيروت ج٣، ص٦٠١، محمد حمدى المنياوي: الوزارة والوزراء فى العصر الفاطمي، دار المعارف، مصر ١٩٧٠، ص ١٠.

(٣) البيضاوى (ناصر الدين عبد الله بن عمر) ٦٩١ هـ / ١٢٩١ م: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث، بيروت ١٩٩٨، ج٤، ص٢٦.

(٤) القرآن الكريم، سورة، الشرح آية رقم ٢.

(٥) الطرطوشي: (أبى بكر محمد عبد الواحد الفهرى الطرطوشي): سراج الملوك، حققه وضبطه، وعلق عليه محمد محيى أبو بكر. تقديم شوقى ضيف، الدار اللبنانية، بيروت، (د – ت)، م ١، ص ٠٢٨٨

(٦) ابن الخطيب: (لسان الدين) الإشارة إلى أدب الوزارة، تحقيق محمد كمال شبانه، مطبعة

حديث صحيح رواه أبو داود والنسائي. وقيل إن اللفظ مشتق من الأزر وهو الظهر لأن السلطان يقّوى بوزيره كقوة البدن بظهره، كقوله تعالى على لسان سيدنا موسى (عليه السلام): ﴿**وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢)**﴾[١]

وقيل إن اللفظ مأخوذ من الوزارة[٢] وهى المعاونة؛ لأن الوزير عون الملك الذى يحمل ثقله ويعينه برأيه ويحمل عنه أعباء السياسة[٣]، و أزرت من المؤازرة، فيقال وآزرنى فلان وآزرته[٤] أى أعنته وساندته فى أمره

الساحل، المغرب (د – ت)، ص ٤٠ – ٤١، ابن الصبيانى (أبى الحسن الهلال بن الحسن الصبياني)، تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء، بيروت، ١٩٠٤م ص٣٩٥، التقى الهندى (علاء الدين على بن حسام الدين): منتخب كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال، هامش الجزء الثانى من السند للإمام أحمد بن حنبل نشر المكتب الإسلامي، القاهرة، (د – ت)، ص ١٣٤، محمد حمدى المنياوي، المرجع السابق، ص ١٠.

(١) القرآن الكريم سوره طه الآيات ٢٩-٣٢.

(٢) الماوردى (أبو الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردى):قوانين الوزارة، ت فؤاد عبد المنعم أحمد، محمد سليمان داود، مؤسسه شباب الجامعة، ط ٢، الإسكندرية، ١٩٧٨، ص٦١، جورج وراتب: مختصر تاريخ الحضارة العربية، مطبعه اليقظة العربية، دمشق، ١٩٤٤م، ص ٤٣.

(٣) القلقشندى (أبو العباس أحمد): صبح الاعشي، تقديم فوزى محمد أمين، الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٥، مج٢، ج٥، ص ٤٤٨.

(٤) ابن منظور: لسان العرب، ج ٧، ص ١٤١، ابن الصيرفى (أمين الدين أبو القاسم على بن منجب بن سليمان الكاتب): القانون فى ديوان الرسائل والاشاره إلى من نال الوزارة، ت / أيمن فؤاد السيد، الدار المصرية اللبنانية، ط ١، القاهرة١٩٩٠ م، ص ٨، الزبيرى: المصدر السابق، ج ٣، ص ٦٠١.

وشأنه[١] ويقول سبحانه وتعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا**﴾[٢]، ويؤكد ذلك حديث الرسول (ﷺ) عن على بن أبى طالب (ﷺ) قال الرسول (ﷺ): «**ليس من نبى كان قبلى إلا قد أعطى سبعة نقباء ووزراء نجباء، وإنى أعطيت أربعة عشر وزيرًا نقيًا نجيبًا، سبعة من قريش، وسبعة من المهاجرين**»[٣]، وهذا يدل على أن الوزير كالإكليل بمعنى المؤاكل لأنه يحمل عن السلطان أوزاره أى ثقله[٤]، وهنا نجد أن العلاقة بين السلطان والوزير علاقة وثيقة، ويؤكد ذلك التاريخ، فمنهم من يقول إن السلطان مثل الدار والوزير بابها، فمن أتى الدار من بابها ولج، ومن أتاها من غير بابها انزعج، وقال آخرون: مثل السلطان مثل الطبيب ومثل الرعية كمثل المرض، ومثل الوزير كمثل السفير الذى بين المرضى والأطباء، فإن كذب السفير بطل التدبير[٥]؛ إذًا فالوزراء هم الخطط السلطانية والرتب الملوكية[٦].

---

(١) ابن خلدون: المقدمة، تحقيق: على عبد الواحد وافي: مكتبة الأسرة، مصر، ٢٠٠٦، ج ٢، ص ٦٣٦، ابن الخطيب الإشارة إلى أدب الوزارة، ص ٣٨، مرعى بن يوسف ألكرمى الحنبلي، (ت /١٠٣٣هـ): المسرة والبشارة فى أخبار السلطنة والوزارة، مركز زايد للتراث والتاريخ، ت / محمد عبد القادر فدرسان، الإمارات ٢٠٠٣م / ١٤٢٣هـ، ص ٦٨.

(٢) القرآن الكريم، سوره الفرقان، آية رقم ٣٥.

(٣) ابن الخطيب: الاشاره ألى أدب الوزارة، ص ٤٠، رشا سالم: الوزارة فى الدولة المرينيه بالمغرب الأقصي، رسالة ماجستير غير منشوره، آداب الزقازيق ٢٠٠٤م، ص.

(٤) القرطبى (محمد بن أحمد الأنصاري) ت ٦٧١ هـ / ١٢٧٢م:الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت ط ٥ ١٩٩٦، ج ١١، ص ١٩٣.

(٥) الكرمى الحنبلي: المسرة والبشارة فى أخبار السلطنة والوزارة، ص٧٣.

(٦) ابن خلدون: المقدمة ج ٢، ص ٦٣٦.

تطور نظام الوزارة:

إن الوزارة ووظيفة الوزير من نظم الحكم القديمة، وقد عرفت فى عصورها قبل الإسلام، فعرفها المصريون القدماء واليونان[١] وبنو إسرائيل[٢] والساسانيون[٣] والفرس[٤] وملوك العرب فى اليمن والحيرة والشام قبل الإسلام[٥]، وعندما جاء الإسلام كان الصحابة يعاونون الرسول (ﷺ) فى إدارة شئون الدولة المختلفة[٦]، وكان يشاورهم ولكنهم لم يتلقبوا بلقب وزير[٧] على الرغم من أن الدولة المعاصرة للرسول (ﷺ) كانت تسمى أبا بكر وزيرًا للرسول(ﷺ)[٨] وهذا ما جعل خليفة المسلمين أبا بكر الصديق يقول

(١) السيوطى (عبد الرحمن بن بكر جلال الدين السيوطي): حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٩٨ م، ج، ٢ ص ١٦٨، مصطفى الرافعي، الإسلام نظام إنساني، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د – ت)، ص ١٣٥.

(٢) مصطفى الرافعي، المرجع السابق، ص ١٣٥.

(٣) آرثر كريستين: إيران فى عهد الساسانيين، ت / يحيى الخشاب، مراجعه عبد الوهاب عزام، دار النهضة العربية، بيروت (د – ت)، ص ١٠٠.

(٤) الجهشيارى (أبو عبد الله محمد بن عبوس): الوزراء والكتاب، ت / مصطفى السقا، إبراهيم الابياري، عبد الحفيظ شلبي، مطبعه مصطفى الحلبي، ط ٢، ١٩٨٠م، ص ١٢٨.

(٥) محمد أحمد برانق: الوزراء العباسيون، منشورات مطبعه لجنه البيان العربية، المطبعة النحو نصيه، القاهرة ١٩٤٨م، ص ٤.

(٦) ابن خلدون: المقدمة، ج ٢، ص ٦٣٧.

(٧) على محمد عمر: دراسات فى تاريخ الحضارة الإسلامية بكلية الآداب، جامعه المنيا، ١٩٨٩م، ص ٢٣.

(٨) ابن خلدون: المقدمة، ج ٢، ص٦٣٧.

بعد وفاة الرسول (ﷺ) للأنصار: "يا معشر الأنصار نحن الأمراء وأنتم الوزراء"[١]. واتبع الخلفاء الراشدون نهج الرسول (ﷺ) فى تقريب من يثق به من الصحابة[٢] لكنهم لم يطلقوا عليه ألقاب الوزراء ولكن كان النظام قائما بذاته.

---

(١) عندما توفى الرسول (صلى الله عليه وسلم) ولم يترك من بعده خليفة اجتمع المسلمون عند سقيفة بنى ساعده فقال أبو بكر الصديق عند اجتماع المهاجرين والأنصار فقال يا معشر الأنصار نحن الأمراء وانتم الوزراء وكان هذا الحديث رواه الإمام أحمد عن أبى بكر الصديق (رضى الله عنه) انه قال: وان الرسول (ﷺ) قال " قريش ولاه هذا الأمر، فقال له سعد: صدقت ونحن الوزراء وانتم الأمراء، راجع أحمد بن حنبل ت ٢٤١ هـ - ٨٥٤م، المسند، تحقيق أحمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٤م، ج ١، ص ٨٠، الترمذى (أبو عباس محمد بن عيسى ت / ٢٩٧ هـ / ٩٠٩م): مختصر سنن الترمذي، شرح وتعليق مصطفى البنا، دار العلوم الانسانيه، دمشق (د - ت)، ص ٣١٦، الهيتمى (نور الدين على بن أبى بكر ٨١٧ هـ ١٤٠٤م): مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، سنه ١٤٠٢ هـ، ج ٥ ص ١٩٢ وعن سقيفة راجع أيضا: المالكي: أبى بكر بن الفرى المالكى: العواصم من القاصم فى تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة الرسول (ﷺ)، فرج أحاديثه وعلق عليه محمود فهمى الاستانبولي، حقق وعلق على = حواشيه محب الدين الخطيب، وثقه وزاد فى تحقيقه مركز السنة للبحث العلمي، الناشر مكتبه السنة، ط ٦، القاهرة ١٤١٢هـ، ص ٦١، المسعودى (أبو الحسن على بن الحسين بن علي): التنبيه والإشراف، راجع بمطبعه بريل، بمدينة ليدن ١٨٩٣، ص ١٨٤، حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعي، مكتبه النهضة المصرية، ط ٦، القاهرة، ١٩٦١، ط ١ ص ٧٠٦.

(٢) الكرمى الحنبلى: المصدر السابق، ص ٦٧ هامش ١، عبد الهادى محبوبة: نظم الملك كبير الوزراء فى الدولة الإسلامية، الدار المصرية الإسلامية، ت / على حسن الخربوطلي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٤، ص ١٢٥.

ولم يعرف الأمويون نظام الوزارة كلغةٍ اصطلاحيةٍ[١] ولم تكن لها رتبة ولم تتمهد قواعدها إلا فى العصر العباسى (١٣٢ هـ / ١٢٥٨م)[٢] وكان أول الوزراء فى الدولة الإسلامية هو (حفص بن سليمان أبا سلمه الخلال)[٣] بينما كان أول وزراء بلاد المغرب الإسلامى هو (عمير بن مصعب الأزدى وزير السلطان إدريس الأصغر)[٤] أما فى العصر المرابطى ببلاد المغرب احتل الوزير

(١) السيوطى: حسن المحاضرة، ج ٢، ص ١٦٨، أحمد أمين، ضحى الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٧، ج ١، ص ١٨٣، ويقول ابن خلدون فى ذلك، عند تولى بنى أمية انقلبت الخلافة إلى الملك وجاءت رسوم السلطان وألقابه كان أول شيء وبدئ به فى الدولة شأن الباب وسده دون الجمهور فاتخذوا الحجاب ثم استعمل الملك بعد ذلك فظهر المشاور والمعين فى أمور القبائل والعصائبه واستخدامهم وأطلق عليه اسم الوزير، ولم يكن بمثابة وزير واختصاصاته المعروفة لأن الحاجة لهم فى الخط والكتابة. راجع ابن خلدون، المقدمة، ج ٢، ص ٦٣٧ -٦٣٨، ابن الصابيانى: تحفه الأمراء، ص ٣٤٨، ابن الخطيب، الإشاره، ص ٤٩، خواندمير (غيان الدين بن حسام الحسيني): دستور الوزراء، ت / مرسى أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٠، ص ١٤٨ – ١٥٠.

(٢) ابن خلدون: المقدمة، ج ٢، ص ٦٣٨ – ٦٣٩، الكرمى الحنبلى: المصدر السابق، ص ٦٧ هامش، المسعودى أبو الحسن على بن الحسين بن على: مروج الذهب ومعادن الجوهر. ت / محمد محيى الدين عبد الحميد، المكتبة الإسلامية، بيروت (د – ت) ج ٣ ص ٣٤٨. نجد أن الوزراء قد ارتفع شأنها وظهرت أبهتها بسبب كفاءة الوزراء المطيعين للسلاطين بسبب قوتهم ونكبة البرامكة. راجع الجهشيارى: المصدر السابق، ص ٩٠، ابن طيفور (أبى الفضل بن طيفور): كتاب بغداد، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٤، ص ١١٩.

(٣) القلقشندى: صبح الأعشي، ج ٥، ص ٤٢٢، جوليان: المرجع السابق، ص ٨٤ – ٨٥، الجهشياري، المصدر السابق، ص ٨٤، ابن خلدون، المقدمة ج ٢، ص ٨٩.

(٤) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢، ص ٢٢، هوبكنز، النظم الإسلامية، ص ٣٥.

مكانة عظمى لدى السلطان فكان دائما قريبا منه ويحضر مجلس السلطان[١] واتسع هذا المنصب فى المغرب فى عهد الموحدين حيث اعتمد المهدى على عدد كبير من رجاله وأتباعه الذين كانوا بمثابة وزراء له وعرفوا بالجماعة أو اسم العشرة[٢].

وفى نهاية الدولة الموحدية سيطر الوزراء على السلاطين وصار الخليفة الموحدى ألعوبة فى أيدى وزرائه ولم يكن له أمر ولا نهى فى أمور الدولة[٣] حتى استولى الحفصيون على إفريقية، وبنو مرين على المغرب الأقصى وبنو زيان على المغرب الأوسط بتلمسان[٤]، وبلغت الوزارة فى الدولة المرينية فى المغرب الأقصى أعلى درجات المناصب، وكان السلاطين يختارون لمنصب الوزارة من

(١) أحمد مختار العبادي: دراسات، ص ١٥١ – ١٥٥.

(٢) يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس فى عصر المرابطين والموحدين، ترجمه ووضع حواشيه محمد عبد الله عنان، مطبعه لجنه التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤١، ج ١، ص ٢٤١ – ٢٤٢، العبادي، دراسات، ص ١٥٥ كان اسم الخليفة ألموحدى فى هذه الفترة يوسف المنتصر بالله ت /٦١٠ هـ /١٢١٣ م ووزيره المستبد ابن جامع. راجع ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص ٢٤١ – ٢٤٢، الذخيرة السنية فى تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط ١٩٧٢، ص٤٩، مقديش: نزهه الأنظار فى عجائب التاريخ والأخبار، ت على الزوارى، ومحمد محفوظ دار الغرب الإسلامى، ط١، بيروت، لبنان ١٩٨٨، ج ١، ص ٥٢١، راشد الوليدى (أبو الفضل راشد بن أبى العمرانى الإدريسي) الحلال والحرام مطبعة فضالة المحمدية، المغرب ١٩٩٠، ص ١٠، برو كلمان: تاريخ الشعر بالإسلام، نقله إلى العربية أمين فارس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، ط ٧، بيروت ١٩٩٠، ص٣٣٠.

(٣) أبو الفضل راشد: المصدر السابق، ص ١٠.

(٤) ابن الأحمر (أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر): بيوتات فاس الكبري، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط ١٩٧٢، ص ٥٤.

أصحاب السيف أكثر من أصحاب القلم[١]، وظهر ذلك واضحًا بكثرة تولى وزرائهم قيادة الجيوش فى حملاتهم العسكرية ضد الثورات والدول المجاورة من أجل توحيد بلاد المغرب تحت السيطرة المرينيه[٢] ودوله بنى مرين من أعظم دول زناته، فلا أثر لاسم الحاجب عندهم، وأما رياسة الحرب والعساكر فهى للوزير، ورتبة القلم فى الحسبان، والرسائل راجعة إلى من يحسنها من أهلها وإن اختصت ببعض البيوت المصطنعين فى دولتهم وقد تُجمع عندهم وقد تفرق[٣].

وكان وزراء الدولة المرينية حتى وفاة السلطان أبى عنان المرينى (٧٥٩ هـ - ١٣٥٧م) وزراء تنفيذ بسبب قوه السلاطين[٤] ثم بعد وفاته انتقلت السلطة الفعلية من أيدى السلاطين إلى أيدى الوزراء[٥] الذين معه وبدأ عهد نفوذ الوزراء[٦].

(١) الحريرى: تاريخ المغرب الإسلامى والأندلس فى العصر المرينى، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت١٩٨٥، ص ٢٦٤.

(٢) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص ٣٨٤، السلاوى (أبى العباس أحمد بن خالد الناصرى): الاستقصا لاخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٤، ج ٣، ص ٢٧، رشا سالم، المرجع السابق، ص.

(٣) ابن خلدون: المقدمة، جـ٢، ص ٦٤٢.

(٤) رشا سالم: المرجع السابق، ص، الحريري، المرجع السابق، ص ٢٦٤.

(٥) ابن الأحمر: روضه النسرين فى دولة بنى مرين، المطبعة الملكية، الرباط١٩٦٢، ص ٢٩، السلاوي، ج ٤، ص ٣٦، عطا على ريه: اليهود فى بلاد المغرب الأقصى فى عهد المرينين والوطاسيين، ط ١، دار الكلمة، سوريا، دمشق ١٩٩، ص ٣٨.

(٦) ابن رضوان (أبى القاسم بن رضوان المالقى): الشهب اللامعة فى السياسة النافعة، ت /

وكانت الوزارة فى دولة بنى عبد الواد من أسمى وأعلى المراتب فى نظام الحكم بعد رتبة السلطان العبد الوادى القوي[١] الذى كان صاحب القرار الأول والأخير فى تعيين الوزير[٢] وكان وجود الوزير العبد الوادى فى منصبه مرهون برضاء السلطان عليه وموقفه منه من الرضا أو الانقلاب عليه[٣]، ولم يكن شرط رحيل السلطان أن يرحل معه وزيره ويتنحى عن وظيفته حيث نجد أنه عندما تولى السلطان الزيانى أبو زيان عثمان السلطة، فقد احتفظ بوزير والده غانم بن محمد الراشدى بن أبى راشد أقارب بنى عبد الواد فى منصبه[٤]وذلك بسبب كفاءته وقربه من الأسرة الحاكمة[٥].

سامى النشار، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ص٣٢، السلاوي، الاستقصا، ج ٤، ص ٥٢، الحريرى: المرجع السابق، ص ٢٦٤ – ٢٦٥

(١) لسان الدين ابن الخطيب: الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه فى الأندلس من شعراء المائة الثامنة، ت / إحسان حقي، دار الثقافة، بيروت ١٩٨٣، ص ٧، التلمسانى فى ابن مرزوق(محمد بن مرزوق التلمسانى): المسند الصحيح الحسن فى مآثر ومحاسن مولانا أبى الحسن، دراسة وتحقيق ماريه خيسوسى بيغيرا، تقديم محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر١٩٨١، ص ٣٦٠.

(٢) الونشريسى (أحمد بن يحيى): كتاب الولايات ومناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية، ت: محمد الأمين بلغيث، لافوميك، القاهرة، (د–ت) ص ٢٣، ابن مرزوق، المسند ص٣٦٠، العبادي: دراسات، ص ١٨٣.

(٣) أحمد محمد الطوخي: مظاهر الحضارة فى الأندلس فى عصر بنى الاحمر، تقديم أحمد مختار العبادى، مؤسسة شباب الجامعة١٩٧٧، ص ١٧٩.

(٤) يحيى بن خلدون: بغيه الرواد فى ذكر الملوك من بنى عبدالواد تقديم وتحقيق وتعليق عبدالحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، ج ١، ص ٢٠٨، ٢١٠ .

(٥) المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة، حيث كانت صلة القرابة من أهم الشروط التى

والوزارة فى الدولة الحفصية من المناصب صاحبة السمو والنفوذ داخل النظام السياسى للدولة[١] وكان الوزير يلقى بشيخ الموحدين أو الشيخ المعظم وذلك لسمو مكانته وارتفاع شأنه، وكان بمثابة وزير الرأى والمشورة عند السلطان[٢] أو رئيس الوزراء فى الدولة[٣] ويلقب بشيخ أو رئيس الدولة أو صاحب الدولة وله مهام كبيره[٤] وكان للسلطان الحفصى ثلاثة وزراء هم: وزير الجند وهو بمثابة الحاجب بمصر، ووزير المال وهو المعروف بصاحب الإشغال،

كانت تتوفر فى الوزير الزيانى ثم الكفاءة لدى بعض السلاطين، والبعض الأخر رأى أن الكفاءة السياسية والإدارية والاقتصادية هى أساس اختيار الوزير، ومنهم من اختار أكثر من وزير حتى لا يستبد أحدهما بالسلطان. راجع: يحيى بن خلدون: بغيه الرواد، ج ١، ص ٢٠٥، ٢٠٨، ٢١٠، ابن الخطيب: الإشارة إلى أدب الوزارة، ص ٨١، ٨٢، الونشريسي: كتاب الولايات، ص ٢٤، مجهول: رسائل متبادلة بين ملوك الأندلس وسلاطين المغرب، مخطوط، معهد المخطوطات، جامعة الدول العربية ٢٧ / ١١ الإسكوريال، ٦٣ق، ورقه ٥٣، مبارك الميلي: تاريخ الجزائر القديم والحديث، تقديم محمد الميلى الشرق الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٦، ص٨٢٧، أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، دار الكتب البليدة، الجزائر ط ٢، سنه ١٩٦٣، ص ٣٣، العبادي: دراسات، ص ١٩٩.

(١) أحمد مختار العبادى: دراسات، ص ١٨٤.

(٢) العبادي: المرجع السابق، ص ١٨٢ وكان السلطان يختار بنفسه ومن بين أقاربه فى أغلب الأحيان أو كثيرًا من يعهد إليه بمهام خطيرة فى الدولة الحفصية مثل وزاره الجند أو الحرب أو خطة الحجابة أو هما معا.

(٣) العمري: المسالك، ص ١٣، ١٤.

(٤) ومن مهام الوزير الأكبر أن ينوب عن السلطان عند غيابه عن عاصمته، ويجلس بين يديه فى مجالسه مع أشياخ الرأى والشورى، وله النظر فى الولايات وقيادة الجيش فى الحروب، راجع العبادي، المرجع السابق، ص ١٨٥.

وزير الفضل وهو كاتب السر[١] وكان وزير الجند أو الحرب هو غالبا شيخ الموحدين فكان بمثابة رئيس الوزراء[٢] وكان وزير الجند يتقدم موكب السلطان إلى صلاة الجمعة فى يقظة شديدة خشية اغتيال السلطان وقتله مثلما حدث للسلطان الغرناطى أبى الوليد إسماعيل بن الأحمر وهو يسير بين حراسه ووزرائه، وعندما يصل السلطان إلى الجامع يقوم وزير الجند بفتح الباب السلطانى المذهب، ويدخل منه السلطان وحده ويستقبله باقى مشايخ وأعيان دولته[٣]، أما وزير المال أو الأموال يسمى أيضا بصاحب الإشغال، فهو كما يقول ابن خلدون: "المختص بالحسبان وبالنظر فى الدخل والخراج" ويحاسب ويستخلص الأموال، ويعاقب على التفريط[٤] وكان وزير الإشغال (المال) أجدر من شيوخ الموحدين ثم شغلها بعد ذلك متخصصون فى الشئون المالية، ذو خبرة بها، ومن خارج الحفصيين[٥] أى من المهاجرين الأندلسيين مثل أبى عثمان سعيد بن الحسين الذى تولى وزارة الأشغال (المالية) فى عهد المستنصر بالله وأوائل عهد ابنه الواثق

(١) العبادي: المرجع السابق، ص١٨٤ – ١٨٥، برنشفيك: تاريخ إفريقية، جـ٢ ص ٥٣.

(٢) العمرى: مسالك الأبصار، ص١٣، ١٤، العبادى: دراسات، ص ١٨٥

(٢) ابن الخطيب:أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق أحمد مختار العبادى محمد إبراهيم الكتانى، دار الكتب، الدار البيضاء، ١٩٦٤، ق ٣ص ٢٩٥، صالح محمد فياض: المواكب السلطانية ورسوم الأعلام فى الدولة الحفصية، مجلة الدارة، العدد الأول شوال ١٤٠٦/يونيو١٩٨٦، ص ١٧٨ هامش ١٩.

(٣) ابن خلدون:المقدمة، جـ٢، ص٢٦٩، صالح محمد فياض المواكب السلطانية، ص ١٧٢.

(٤) ابن خلدون، المقدمة، جـ٢، ص٢٦٩-٢٧٠.

(٥) العبادي: دراسات، ص ١٨٥.

بالله[١] ثم تولى جد ابن خلدون أبو بكر محمد خلدون فى عهد الخليفة أبى إسحاق بن الواثق. ومثل محمد بن يعقوب، وأبى القاسم بن طاهر وغيرهم ممن شغل هذا المنصب فى أواخر القرن السابع وأوائل الثامن الهجرى وكان وزير المالية (صاحب الأشغال عرضة دائما لمصادرة أمواله وسجنه وتعذيبه أو قتله)، فمثلا السلطان المستنصر قتل وزيره الليانى سنه ٦٥٩ هـ / ١٢٦١م[٢] وقتل السلطان الواثق وزيره سعيد بن أبى الحسين سنة ٦٧٦هـ /١٢٧٨م وصادر أمواله ثم قتل أبو عمارة الوزير أبا بكر محمد بن خلدون بعد أن استولى على الحكم عام ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣م[٣].

وتغير مسمى منصب وزير الأشغال (المالية) فى عهد السلطان الحفصى أبى فارس عبد العزيز (٧٩٦هـ: ٨٣٧هـ/ ١٣٩٤م: ١٤٣٣م) إذ أطلق عليه اسم (المنفذ) أى صاحب الجباية والتنفيذ فى الدولة، وكان يختار من بين كبار الموحدين (الحفصيين) ويتمتع بنفوذ كبير فى المملكة[٤] وإن اختلف المسمى ولكن كانت المهام المكلف بها وزير الإشغال واحده، واشتق من خطه وزاره الجباية اسم آخر يسمى وزارة المعمور، وهى خاصة بالجباية عن الأرياف والبدو.[٥]

(١) ابن خلدون: المقدمة، جـ٢، ص٦٣٦، ص٦٤٦-٦٤٧.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٧٧ – ٦٧٨.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٩٥.

(٤) العبادى: دراسات، ص ١٨٨، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ٢٧٨، ج ٢، ص ٥٣، ٥٨.

(٥) محمد الهادى العامري: المغرب العربى فى سبعة قرون من الازدهار والذبول القرن السابع الهجرى إلى القرن الثالث عشر الميلادى، نشر الشركة التونسية، تونس، (د.ت)، ص ٢٠.

ووزير الفضل أو كاتب السر، هو المختص بديوان الإنشاء أى المكاتبة والأوامر السلطانية، وكذلك كتابه العلامة ثم ترفع هذه المكاتبات إلى السلطان ليضع خاتمه، وكان يشترط فى وزير الفضل أن يحسن الإنشاء، ويجيد الترسيل باللغة العربية الفصحى، وأن يكون أمينًا على كتمان الأسرار ولهذا سمى بكاتب السر(١)، أو تسمى مصلحة الرسائل أو أمانة سر الدولة(٢) أو صاحب العلامة والإنشاء(٣).

ثم انقسمت هذه الوزارة إلى علامة كبرى وعلامة صغرى، فالوثائق الهامة الصادرة مباشرة عن الخليفة يضع عليها صاحب العلامة الكبرى، والوثائق الأخرى الصادرة اعتبارًا من عهد المستنصر باسم وزير الجند يضع عليها العلامة الصغرى كاتب من رتبة أدنى(٤) وكان تقسيم الوزارة إلى خطة (وزارة) العلامة، وخطة (وزارة) الإنشاء وذلك فى عهد أبى زكرياء، ولكن عندما أعفى ابن الآبار من منصبه، قام السلطان أبو ذكريا بجمع خطه العلامة والإنشاء لمنافسة وزيره السابق أحمد الغساني(٥) ولكن بعد وفاة وزير الفضل فى عهد السلطان المستنصر، قام بفعل ما سبقه إليه والده من تقسيم وزارة الفضل أى "العلامة" والثانية إلى

(١) العبادى: دراسات ص١٨٨، برنشفيك، المرجع السابق ج ٢ ص ٦١.

(٢) برنشفيك، المرجع السابق ج ٢ ص ٦١.

(٣) ابن القنفذ (أبى العباس أحمد بن الخطيب القسنطينى): الفارسية فى مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق الشاذلى النيفر، عبدالمجيد التركى، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٦٨، ص ١١٦، ١٢٣، الزركشي: المصدر السابق، ص ٢٨، ٣٤، برنشفيك: المرجع السابق، ج ٢، ص ٦١.

(٤) برنشفيك: المرجع السابق: ج ٢: ص ٦١.

(٥) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٥٣ – ٦٥٤، برنشفيك: المرجع السابق، ج ٢، ص ٦١.

"الإنشاء"(١).

وكان وزير الفضل من مهامه الإشراف على مكتبة القصر الملكى والنظر فيما تحتاج إليه من كتب(٢) بالإضافة إلى إنشاء المكاتبات(٣) والأوامر السلطانية وخزانة الكتب(٤) ويشرف على أرباب العلم وسائر الفنون(٥). وكان يشترط فى وزير الفضل أن يحسن الإنشاء ويجيد الترسيل باللغة العربية الفصحى، وأن يؤتمن على كتمان الأسرار، ولهذا سمى أيضا (بكاتب السر)(٦) ولم يشترط فى صاحب هذه الخطة أن يكون قرابتهم أو من الموحدين كعادتهم فى أغلب المناصب الرئيسية والولايات؛ لأن الكتابة لم تكن من منتحل القوم بسبب

(١) ابن القنفذ، الفارسية، المقرى (أحمد بن المقرى التلمسانى): نفح الطيب فى غصن الاندلس الرطيب، ت إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٨٨، ج ١، ص ٦٥٣، ٦٨٢ وكانت عملية الفصل والدمج بين العلامتين ليست دائمة / برنشفيك، المرجع السابق، ج ٢، ص ٦١.

(٢) العمري: مسالك الإبصار، ج ٢، ص ٦٢، العبادى: دراسات، ص ١٩٠، برنشفيك، المرجع السابق، ج ٢، ص ٦١.

(٣) العبادي: دراسات، ص ١٩٠، برنشفيك: المرجع السابق، ج ٢، ص ٦٤ – ٦٥ ٠

(٤) الزركشي: تاريخ الدولتين، ص، العبادي: دراسات، ص ١٩١، ابن مرزوق: المسند الصحيح الحسن فى مآثر مولانا أبى الحسن، ص ٣٥٩، ٣٨١.هوبكنز: النظم الإسلامية فى المغرب فى العصور الوسطي، ترجمة أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس عام ١٩٨٠ ص ٣٥، جواتيان: دراسات فى التاريخ الإسلامى والنظم الإسلامية، تعريب وتحقيق د/ عطية القوصي، الكويت عام ١٩٨٠ ص ٧٩، ٨٣، فتحيه النبراوى: تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، دار المعارف عام ١٩٧١ ص٥٨، ٥٩.

(٥) العبادى: دراسات، ص١٨٨.

(٦) ابن خلدون: المقدمة ج ٢ ص ٦٤١، العبادى: المرجع السابق ص ١٨٨.

رطانة ألسنتهم.[١]

وجاء بعد ذلك دخول واختلاط الوزارة بالحجابة فى الدولة الحفصية حيث تولى الحاجب الوزارة سواء وزارة السيف والحرب حيث حل محل وزير الجند وشيخ الموحدين (رئيس الوزراء)، وأصبح يسمى شيخ الموحدين[٢] ثم صار أيضا صاحب الرأى والمشاورة[٣].

وخلاصة القول نجد أن الوزارة فى الدولة الحفصية تكونت من أنواع السيف والقلم والمال والعلم وكانت الوزارة بأشكالها المختلفة وزاره تنفيذ فى حالة إذا كان السلطان الحفصى قويا مسيطرا على أمور الدولة الحفصية، فأصبحوا وزراء[٤] تنفيذ ما يأمر به السلطان من تجهيز الجيوش وشئون الجباية

(١) ابن خلدون: المقدمة ج ٢ ص٦٤١ – ٦٤٢، برنشفيك:المرجع السابق، ج٢، ص ٦٤ – ٦٥، العبادي، المرجع السابق ص ١٨٨. نلاحظ أن الحفصيين لجأوا إلى المثقفين الاندلسين لكتابه رسائلهم وتولى وزاره القلم، راجع برنشفيك: المرجع السابق، ج ٢، ص ٦٤.

(٢) ابن خلدون، المقدمة ج ٢ ص ٤٢، العبادى: دراسات ص١٩٤.

(٣) العبادى: دراسات ج ٢ ص ١٩٤، برنشفيك:المرجع السابق، جـ ٢، ص ٥٥.

(٤) وزارة التنفيذ: هو تعيين الإمام (السلاطين) من ينوب عنه فى تنفيذ الأمور دون أن تكون له سلطة استقلالية وليس له أى دور سوى تنفيذ أوامر السلطان دون تعديل أو تغيير. راجع الماوردى: قوانيين الوزارة ص ١٣، الأحكام السلطانية ص ٢٥، ٢٦، ابن الصيرفي: القانون فى ديوان الرسائل ص ٨، الونشريسي: كتاب الولايات ص ٢٣، أبو يعلى الفراء (أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلي) الأحكام السلطانية ت / محمد حامد الفيقي: دار الكتب العلمية، بيروت عام ١٩٨٣، ص ٣٣ – ٣٥، ابن طبطابا (محمد بن على طبطابا): الفخرى فى الآداب السلطانية، مصر، ١٣١٧هـ، ص ١٣٧، ١٣٩، يحيى بن خلدون، بغية الرواد ج ١ص ٢٠٤–٢٠٥.

وقيادة الجيوش وكتابة الإنشاء والعمل كسفراء مع الدول المجاورة، دون تطاول على شخصية السلطان وهذه الفترة من (٦٢٦هـ: ٦٧٥هـ/١٢٢٨م: ١٢٧١م) وعندما تولى السلطان أبو العباس أحمد الحكم (٧٧٢هـ/ ١٣٧٠م) كان على العكس من سيطرة الوزراء والوزير على السلطان الضعيف. حيث أصبح الوزير وزير تفويض[١] بسبب ضعف السلاطين والتنافس على السلطة وكثره الاضطرابات فى جميع أنحاء البلاد، والانقسامات الداخلية أدت كلها إلى أن أصبح السلطان الحفصى ألعوبة فى أيدى وزرائه وذلك فى الفترة من (٦٧٥هـ: ٧٧٢هـ / ١٢٧٧م: ١٣٧٠م) ثم فترة الانحطاط والتدهور فى نهاية الحكم الحفصى والتنافس المرير على السلطة وزيادة نفوذ الوزراء الحجاب (٨٩٢ هـ: ٩٨٢ هـ / ١٤٨٦م:١٥٧٤ م) حتى ضعفت الدولة والتدخل الأجنبى ثم دخول الأتراك العثمانيين تونس عام ٩٨٠هـ / ١٥٧٤م وينتهى معها الدولة الحفصية وينطوى معها آخر صفحات الوجود الحفصى الفعال فى المنطقة.

(١) وزارة التفويض: هو أن يختار الإمام وزيرا يفوض إليه تدبير الأمور برأيه دون الرجوع إلى السلطان. راجع الماوردي: الأحكام السلطانية ص ٢٣، قوانين الوزارة ص ١٠، أبو يعلى الفراء: الأحكام السلطانية، ص ٣٠، ٣٣، الونشريسي، كتاب الولايات ص ٢٣، محمد ضياء الريس: النظريات السياسية الإسلامية، دار التراث ط ٦، بيروت، ١٩٧٦، ص ٢٦٣، ابن طبطابا، الفخرى فى الآداب السلطانية ص ١٣٧، ١٣٩.

قيام وتطور الدولة الحفصية:

تنسب الدولة الحفصية إلى أحد أصحاب المهدى بن تومرت[١] العشرة وهو الشيخ أبى حفص عمر[٢] زعيم قبيلة هنتاته إحدى قبائل المصامده[٣] ولكنها كانت أكثرهم عددا، وكانت فيها رئاسة قبائل المصامده

---

(١) المهدى ابن تومرت: هو محمد بن عبد الله بن تومرت من أهل السوس من قبيلة هونمه وهم الشرفاء بلسان المصامده، وله نسب متصل بالحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب، ومنه إلى رسول الله(ﷺ)، والبعض يرجع نسبه إلى قبائل البربر، ومنهم من يقول أنه مختلطا بين البربر والعرب، واستطاع وضع أبى للخلافة الإسلامية عظيمه، وتوفى سنة خمسمائة وأربعة وعشرين هجرية راجع: عبد الواحد المراكشى (محيى الدين أبو محمد بن عبد الواحد):المعجب فى تلخيص أخبار المغرب –ت/ محمد سعيد العريان، والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية لجنه أحياء التراث _ القاهرة، سنه ١٩٦٣، ص ٢٤٥-٢٥٣.
- The Encyclopadeia of Islam, Prepared By A number of Leading Orientalists, V.VI. Leiden, ١٩٩١, P. ٦٦.

(٢) أبى حفص عمر: هو فاصله بن وفرال، وسماه المهدى بن قومرت بابى حفص لأنه كان ضمن الجماعة المؤسسة للدولة الموحدية وكان ذو مكانه عظيمه عن الخليفة الموجودى ابن قومرت، وكان يطلق عليها أيضا اسم المبارك ويعرفونه أيضا بعمر ابنتى، ويرفع نسبه إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب راجع المراكشى (محى الدين أبو محمد عبد الواحد): المعجب فى تلخيص أخبار المغرب،ص ٢٦٢، أحمد بن أبى الضياف: أتحاف أهل الزمان بإخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تحقيق لجنه من كتابه الدولة للشؤون الثقافية والأخبار، الدار التونسية سنة ١٩٧٦، ١٣٩٦، ص١٩٣، الوزير السراج (أبى عبد الله محمد بن محمد الأندلسى): الحلل السندسية فى الأخبار التونسية، مطبعة الدولة التونسية، تونس، ١٢٨٧هـ، ج ١، ق ٤، ص ١٠٢٠.

(٣) هنتاته: بكسر الهاء وفتحها، وسكون النون، وفتح التاء الفوقية بعدها ألف ممدودة ثم تاء مفتوحة بعدها هاء للتأنيث اسم يطلق على جبل من جبال أطلس كما يطلق على القبيلة المقيمة فيه، أو عن قبائل هنتاته ومواطنهم راجع مجهول: عقد الجوهر فى نسب البربر

لقوتها ولضخامتها[١] وبعد وفاة الشيخ أبو حفص عمر. سنة ٥٧١هـ/١١٧٥م[٢]. كان لأبنائه شأن كبير داخل البلاط ألموحدى بوجه عام كان لأبو محمد عبد الواحد المكانة الأسمى والأعلى بوجه خاص لدرجة تجعله كبير شيوخ الموحدين متبعًا أثر والده داخل الدولة[٣] فكان له دور كبير فى

مخطوطه بالهيئة المصرية للكتاب، الرمز تيمور، ميكروفيلم رقم ٢٧٤١٧ ورقه ١٢ ابن خلدون، العبر مج ٦، ص ١١، ص ٤٢٣، ص ٤٦٨ – ٤٦٩، مج ٧، ج ١٢، ص ٥٦٣، ابن الخطيب: نقاضة الجراب فى علالة الاغتراب، تحقيق أحمد مختار العبادى،عبدالعزيز الاهوانى،دار الكتاب العربى للطباعه والنشر،، القاهرة، ج ٢، ص ٤٣ هامش، جـ ١٠،ج ٣، ص ١٠٤، عبد الواحد المراكشى وثائق المرابطين والموحدين ت /حسن مؤنس ص٩٧،القلقشندى، صبح الأعشى، ج٥، ص ١٣٤، ونهاية الأرب، ص٤٤٠،٤٣٩،ابن القاضى (أحمد بن محمد أبى العافية المكناسى): جذوة الاقتباس فيما من حل من الإعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والنشر،الرباط،١٩٧٣ ج١، ص١٥ حسين مؤنس: تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الأندلس،ط٢،مكتبه مدبولى،١٩٨٦، ص ٥٨٩،محمد القبلى: الدولة والولاية والمجال فى المغرب الوسيط علائق وتفاعل، دار توبقال، ط ١،الدار البيضاء،المغرب١٩٨٧، ص ٢٤.

(١) مجهول عقد الجوهر: مخطوط، ورقه ١٢ المراكشى، المعجب، ص٤٢٣، ابن خلدون: العبر، مج٦، ج١١، ص٤٢٣، ابن القنفذ، الفارسية، ص١٠٢-١٠٣.

(٢) ابن الخطيب (لسان الدين): الإحاطة فى أخبار غرناطة، ت/ محمد عبد الله عنان، مكتبه الخانجي، القاهرة،ط١٩٧٣،٢، ج١، ص٣٢١، ابن الضياف، المصدر السابق، ص١٩٣.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج٦، ج١٢، ص٥٨٢، ابن الضياف، المصدر السابق، ص١٩٤، محمد عبد الله عنان: عصر المرابطين والموحدين، ج٢، ص٣٨١ ابن بسام، كتاب التواريخ المعروف بابن بسام فى أخبار ملوك الحضرة المراكشية وما جرى بهم فى الجهاد مع النصارى فى فتوح بلاد الأندلس وأفريقيه وغيرها من المدائن، وقف على كعبه: أمبروسيو هو يثنى والطبقة الأبيرقنه، ١٩١٧، ص٨٧ محمد عبد الله عنان دول الإسلام فى الأندلس عصر المرابطين والموحدين، الهيئة

خدمه الدولة وخاصة فى عهد الخليفة الناصر عندما احتدم الصراع بين الموحدين وبقايا المرابطين فى إفريقيه بقياده بنى غانية[١] عهد إليه الخليفة الناصر بحمل راية الحرب للقضاء على ثورة بنى غانية التى عملت على زعزعة أركان الدولة الموحدية وغروب نجمها، فخرج إليه الشيخ محمد عبد الواحد على رأس حوالى أربعة ألاف من الموحدين بعد إن لقى جيوش الموحدين هزائم متتالية على يد الثائر[٢].

والتقى الجيشان سنة ٦٠٢هـ/١٢٠٥م عند تاجرا بضواحى قفصة[٣]

المصرية العامة للكتاب،٢٠٠١، ص.

- Jamil M. Abun Nasr: A history of the Maghrib, Cambridge, P. ١١٨.

(١) بنو غانية: من قبيلة مسوفه البربرية، وأطلق عليهم هذا الاسم نسبة إلى أمهم غانيه من العائلة المرابطية التى تزوجت من يحيى ألمسوفى راجع المراكشى: المعجب، ص٣٩٧، ابن خلدون، العبر، مج٦، ج١٢، ص٥٠٥-٥٠٧، أحمد بن خالد الناصرى السلاوى الاستقصا فى أخبار المغرب الأقصى، الدار البيضاء ١٩٥٤، ج٢، ص١٥٩.

- Villes du Monde: op.cit., P. ٢٢.

(٢) استولى ابن غانيه على بجاية فى السادس من شعبان ٥٨٠هـ /١١٨٤م، ثم قلعه بنى حماد ثم سدر الحصار على قسنطينة ولكنه فشل فى الاستيلاء عليها ودعا للخليفة أبى العباس أحمد الناصر ٥٧٥-٦٢٢هـ/١١٨٠-١٢٢٥م واستولوا على المهدية، طرابلس، وقابس، وصفاقس، وراجع بن خلدون، العبر، محـ٦، ج١٢، ص٥٠٦، ص٥٠٧-٥٠٩.

(٣) قفصة: مدينة من بلاد الجريد، وهى كبيرة قديمة أزلية وكان اسمها مدينة ألحنيته، وهى متوسطة بين القيروان وقابس، راجع الحميرى (محمد بن عبد المنعم الحميرى)، الروض المعطار فى خير الأقطار، ت إحسان عباس، مكتبه لبنان، ١٩٨٤، ص٤٧٧-٤٧٩، ياقوت الحموى (شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى): معجم البلدان دار إحياء التراث، بيروت، لبنان ١٩٧٩، ج٤، ص٣٨٢-٣٨٣.

ودارت بينهم معركة شرسة انتهت بهزيمة بنى غانية هزيمة منكرة، وهرب هو وأتباعه من القبائل العربية إلى الصحراء ببرقة يجر أذيال الهزيمة[١] بعد أن كبَّد الموحدين خسائر كثيرة وهزائم متتالية واستولى على مدنهم وكانت خسائرهم فى هذه المعركة كثيرة، حيث استرد الناصر مدينة المهدية وأنقذ السيد أبى زيد وولديه مع جماعة من شيوخ الموحدين وأسرو على بن غازى وإلى المهدية من قبل بنى غانيه[٢].

ونتيجة إلى هذه الانتصارات اختار الناصر الشيخ ابن محمد عبد الواحد الحفصى لحكم إفريقية لحبه وإجلاله له وثقته فى كفاءته الحربية والإدارية، وذلك عندما عزم الناصر على التحرك إلى المغرب من إفريقية تاركًا سندًا قويًا يحمى ظهره فى تلك البلاد البعيدة عن عاصمة ملكه[٣] ولكن الشيخ أبا محمد

(١) الزركشى (أبى عبد الله محمد إبراهيم) تاريخ الدولتين (الموحدية والحفصية)، تحقيق وتعليق محمد ماضور، المكتبة العتيقة ط ٢، تونس ١٩٦٦، ص١٧-١٨، ابن خلدون: العبر، مج٦، ج١٢، ص٥١٩، عبدالله العروي: تاريخ المغرب محاوله فى التركيب، ترجمه ذوقان قرقوت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١،بيروت ١٩٧٧، المرجع السابق ص١٩٦.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص٥٨٢، ابن القنفذ (أبى العباس أحمد بن حسين بن على الخطيب القسنطينى): الفارسية فى مبادئ الدولة الحفصية، تقديم وتحقيق الشاذلى النيفر، عبد المجيد تركى، الدار التونسية،تونس،١٩٦٨، ص١٠٤ وفيه يقول لسان = = الدين الخطيب: قدمه الناصر فيه أمر ثم علا وصار ملكا قاهرا وكان حازما شديد اليقظة لا يهمل التافة ولا لحظه. راجع شرح رقم الحلل فى نظم الدول، أعد للطبع وعلق عليه عدنان درويش،منشورات وزارة الثقافة،سوريا ١٩٩٠ ص٢٠٨.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج٦، ج١٢، ص٥٢٠، المراكشى: المصدر السابق، ص١٨، لسان الدين ابن الخطيب:شرح رقم الحلل فى نظم الدول،ص ٢١٨ المطوى: المرجع السابق، ص٣١.

عبد الواحد رفض فى بادئ الأمر قبول هذا المنصب[١] ولكن الخليفة الناصر أحاط به وضيق عليه وقال له إما أن تتوجه أنت إلى المغرب وأجلس أنا بإفريقية وإما تبقى أنت وأنصرف أنا[٢]، فاضطر الشيخ أبو محمد إلى قبول الولاية على إفريقية بشروط وافق عليها الناصر دون أى اعتراض[٣].

وتعتبر الفترة (٦٠٣هـ-٦١٨هـ/١٢٠٧م-١٢٢١م) التى تولى فيها الشيخ أبو محمد حكم تونس، وهى تزيد عن خمسة عشر عامًا بداية تولى أفراد الحفصيين حكم تونس، وأصبحوا هم الوارثين الشرعيين للموحدين فى تونس

(١) ابن خلدون: العبر، مج٦، ج١٢، ص٥٢٠، ابن القنفذ: الفارسية، ص١٠٥، الزركشي: المصدر السابق، ص١٨، السلاوي، الاستقصا، ج١، ص١٩٣، ابن دينار، المصدر السابق، ص١٣١الباجى المسعودى،الخلاصة الناقية ص٥٩، الوزير السراج، الحلل السندسية، ج١، قسم٤، ص١٠٢٢.

- Jamil M. Abun Nasr: op.cit., P. ١١٨.

(٢) الزركشي: المصدر السابق، ص١٨، ويذكر ابن خلدون: أن السلطان الناصر أرسل إليه ابنه الأكبر يوسف فأكبر مجيئه وقبل ذلك، راجع ابن خلدون، العبر، مج١٢، ص٥٢٠، ص٥٨٢.

(٣) وهذه الشروط التى فرضها الشيخ أبو محمد عبد الواحد أن يقيم واليًا على إفريقية ثلاث سنوات فقط يعود بعدها إلى المغرب، له الحرية التامة فى اختيار رجاله من الموحدين أعوانا له، وألا يراجعه الخليفة الناصر فيما يصدره من أوامر توليه أو عزله أن يمده الخليفة الناصر بكل المساعدات التى يطلبها، راجع: ابن خلدون، العبر، مج٢، ج١٢، ص٥٢٠، ص٥٨٣، النجاتى (أبى محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التيجانى): رحلة التيجانى، قدم لها حسن حسنى عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب،تونس،١٩٨١، ص ٣٦٢، الزركشى، المصدر السابق، ص١٨.

وإفريقية[١] تعمل على تنظيم أمور البلاد، وتوجيه الأمن، وإصلاح ما ترتب على الفوضى التى أحدثتها ثورات وحروب بنى غانية والقبائل المساندة لهم، ووضع تقليدا يشابه تقليد الملوك والسلاطين وهو النظر فى أمور الرعية كل يوم سبت، وجعل من تونس عاصمة لإفريقية كلها[٢] حتى توفى يوم الخميس أول محرم ٦١٨هـ/١٢٢١م[٣].

واختلف الموحدون على ابنه أبى يزيد[٤] ولكن ولايته لم تستمر سوى ثلاثة شهور حيث عزله الخليفة المنتصر وولى بدلا منه السيد (أبا العلاء بن أبى يعقوب بن عبد المؤمن) وطلب من أولاد الشيخ أبى محمد عبد الواحد بالقدوم إلى مراكش[٥] وقام السيد أبو العلاء بحكم تونس فى شهر ذى القعدة

(١) ابن القنفذ: الفارسية،ص١٠٥، ابن دينار، المصدر السابق، ص١١٢، السلاوى، الاستقصا، ج٢، ص١٩٣.

- Bernard F. Relly: The Medieval Spains, Cambridge, ١٩٩٣, P. ١٦٢.

- L.P. Harvey, Islamic Spain (١٢٥٠-١٥٠٠), Chicago Press, London, P. ١١٦.

(٢) ابن القنفذ: نفسه، ص١٠٥، عاشور بو شامه: علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب والأندلس (٦٢٦- ٩١٨ هـ/١٢٢٨- ١٥٧٣م) رسالة ماجستير غير منشورة، كليه الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٩١، ص٤٧.

- Claudio Miralles De Imperial, Relaciones Diplomaticas de mallorca Y Aragon Con El Africa Septentrional Durante La Eded Media, Barcelona, ١٩٠٤, P. ٥٨.

(٣) الزركشى: المصدر السابق، ص١٠٩، ابن خلدون، العبر، مج٢، ج١٢، ص٥٨٧.

(٤) ابن القنفذ الفارسية، ص١٠٦، ابن خلدون، العبر، مج٦، ج١٢، ص٥٨٨، اختلفوا شيوخ الموحدين على من يتولى أمر إفريقية بعد الشيخ أبو محمد عبد الواحد فمنهم من اختار الشيخ أزيد عبد الرحمن أبو محمد ومنهم من رشح ابن أخيه إبراهيم بن إسماعيل بن الشيخ أبى حفص: راجع ابن خلدون، العبر، مج٦، ج١٢، ص٥٨٨.

(٥) ابن خلدون: العبر، مج٦، ج١٢، ص٥٨٨.

٦١٨هـ/١٢٢١م[١] ومن بعده ابنه أبو زيد المشمر الذى اشتهر بفساده وضعفه وساءت سيرته بين القبائل حتى تولى الخليفة العادل سنه٦٢١هـ/١٢٢٤م، فأقاله من منصبه[٢] وعين من بعده أبا محمد عبد الله ابن الشيخ أبو حفص المعروف باسم «عبو» فدخل هو يصاحب أخاه أبا زكرياء يحيى وباقى أخواتهم تونس يوم السبت السابع والعشرين من ذى القعدة ٦٢٣هـ\١٢٢٥م[٣] وبمجرد وصولهم عين أبا إبراهيم على بلاط قسطنطينية وتوزر ونفطه[٤] وعين أبا زكرياء يحيى على قابس[٥] والحامة[٦] وتفرغ الشيخ ابن محمد عبد الله

(١) ابن القنفذ: الفارسية، ص١٠٦، تولى الخلافة بعد أن خلع نفسه الخليفة عبد الواحد ابن يوسف بن عبد المؤمن يوم الأحد الثانى والعشرين من شعبان سنة ٦٢١هـ/١٢٢٤م، وكان وصوله للخلافة بهذه الطبيعة جعله ألعوبة فى أيدى شيخى هنتانه ويستمل وأصبح يسترضى شيوخ القبائل وأخوته راجع ابن عذارى المراكشى البيان المغرب فى اختبار ملوك المغرب ت/ محمد بن تاويت، محمد إبراهيم الكتانى، ومحمد زنبير، عبد القادر زمامه، دار الغرب الإسلامى بيروت، لبنان ١٩٨٥ ص٢٧٠،مراجع عقيلة الغناي: سقوط دوله الموحدين، منشورات جامعة قار يونس، بنى غازي، ١٩٨٨،ص٢٤٨.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج٦، ج١٢، ص٥٩٠-٥٩١، الزركشي: المصدر السابق، ص١٤.

(٣) الزركشي: المصدر السابق، ص٢١.

(٤) بلاد قسطنطينية: من مشاهير بلاد إفريقية من تيجس وميله وهى مدينة كبيرة آهلة بالسكان كثيرة الخصب ورخيصة السعر على نظر واسع وقرى عامرة وبها أسواق وتجار، وهى مدينة حصينة فى غاية المناعة. راجع الحميرى المصدر السابق، ص ٤٨٠ -٤٨١.

(٥) ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٩٣ الزركشي: المصدر السابق، ص٢١، قابس: مدينة من بلاد إفريقية بينها وبين القيروان أربع مراحل من بلاد الجريد مدينة كبيرة وبها فنادق وحمامات وتكثر بها البساتين والمزارع: راجع الحميري: المصدر السابق، ص٤٥٠.

(٦) ابن الشماع: المصدر السابق، ص٥٣، ابن دينار: المصدر السابق، ص١٥٥، الوزير السراج:

لملاحقة جيوش بنى غانية للحد من نشاطهم، واسترداد ما استولوا عليه من مدن وبلاد حتى وصل سجلماسه[١] وذلك عام ٦٢٣ه/١٢٢٦م[٢] ولكن هذا التلائم بين الإخوة لم يستمر طويلا، حيث انقلب الاتحاد إلى انفصال وحرب بين عبو وأخيه أبى زكرياء يحيي، لأن عبو أراد التخلص من أخيه، فعزله من ولاية مدينة قايس وإعماله، فسرح له أخاه إبراهيم[٣] واشتعلت إفريقية نارًا، ولكن نار الصراع فى المغرب الأقصى أشد[٤] لأن عبو رفض مبايعة الخليفة المأمون فى حين سارع إلى أبو زكرياء بالبيعة، وأعلن ولاءه له[٥]، وعلى الفور أصدر المأمون أوامره بعزل عبو وتولية أخيه أبى زكرياء إمارة إفريقية[٦] وبالتالى تغيرت الظروف والقوى المتناحرة، حيث تراجع أبو إبراهيم عن

الحلل السندسية، ج٢، ص١٤٢، الزركشي: المصدر السابق، ص٢١، ابن الضياف، إتحاف الزمان، ص١٩٦.

(١) سجلماسة: تقع على نهر يقال له زيز ليس بها عين ولابئر وبينه وبين البحر عدة مراحل وأهلها أخلاط والغالبون عليهم بربر وهى مدينة ساهليه وبها أرياض وهى حصنة الموضع. راجع ياقوت الحموى: المصدر السابق ص، الحميرى المصدر السابق ص ٣٠٥ – ٣٠٧.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج٦، ج١٢، ص٥٩٢.

(٣) الزركشي: المصدر السابق، ص٢٣، ابن القنفذ: الفارسية، ص١٠٧، ابن خلدون، العبر، مج٦، ج١٢، ص٥٩٣.

(٤) حيث اشتد الصراع على الحكم بين أفراد الأسرة الموحدية، حيث قتل العادل شنقا سنة ٦٢٤هـ /١٢٢٦م وخلفه المعتصم وإلى أشبيلية بالأندلس حيث استطاع إحكام قبضته على البلاد وأمور الحكم ولكن لم تتوقف الثورات، راجع ابن خلدون، العبر، مج٦، ج١٢، ص٥٩٣.

(٥) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج١٢، ص٥٩٣.

(٦) ابن خلدون: العبر،مج٦، ج١٢، ص٥٩٣، الزركشى: المصدر السابق، ص٢٢.

محاربة أبى زكرياء عندما علم بقرار العزل، فقام عبو بجمع جنوده من الموحدين متوجها إلى القيروان عازمًا على التخلص من أخيه أبى زكرياء ولكن عندما علم شيوخ الموحدين الذين معه بنيته امتنعوا عن القتال حبًا لأبى زكرياء[١] فحاول إجبارهم فانقلبوا عليه[٢].

وهكذا نجد أن أبا زكرياء استطاع من كسب السلطان إلى جانبه وبايعه من أجل الفوز بحكم إفريقية وعلى الفور أرسل الشيوخ المعارضين بكتابات إلى زكرياء عن طريق وفد منهم، وشرحوا له موقفهم، فسارع بالتحرك هو وجنوده، وبادر بالوصول إلى تونس ودخلها واعتقل أخاه، ثم أرسله إلى المغرب بحرًا[٣] ودخل أبو زكرياء تونس فى يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شهر رجب عام خمس وعشرين وستمائة هـ ١٢٢٧م[٤] ليضع النواة الأساسية

(١) الزركشي: المصدر السابق، ص٢٣ ابن القنفذ، الفارسية، ص١٠٧، ابن خلدون،العبر، مج٦، ج١٢، ص٥٩٣، الوزير السراج: الحلل السندسية، ج٢، ص١٠٤٢.

(٢) الزركشي: المصدر السابق، ص٢٣، ابن خلدون، العبر، مج٦، ج١٢، ص٥٩٣.

(٣) ابن القنفذ: المصدر السابق، ص١٠٧، الزركشي، المصدر السابق، ص٢٣، طاهر راغب: المرجع السابق، ص٨٩، ابن بسام، أخبار ملوك الحضرة المراكشية، ص١٢٤.

(٤) ابن القنفذ: الفارسية ص١٠٧، الزركشى، المصدر السابق ص٢٣، ابن خلدون، العبر، مج٦، ج١٢، ص٥٩٣، ابن الوزير السراج: الحلل، ج٢، ص١٤٢، ابن الشماع، المصدر السابق، ص٥٣ – ص٥٤، منى سيد عبد العزيز، الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى الدولة الحفصية (٦٢٦ ـ ٩٣٥ هـ / ١٢٢٨ ـ ١٥٣٥ م)، رسالة ماجستير غير منشورة جامعه القاهرة معهد البحوث والدراسات الإفريقية، ١٩٨٦، ص٨.

- L.P. Harvey: op.cit., P. ١١٦.

- Jamil Abun Nasr, op.cit., P. ١١٩.

- Wilfrid Knapp: tunsice: Thams and Hudson London, P. ٥٧.

لقيام الدولة الحفصية وحوَّل الحلم إلى حقيقة بعد عده محاولات حفصية سابقه لم يكتب لها الظهور إلى الوجود، حيث قام بترتيب أحوال البلاد وعامل الرعية معاملة حسنة فكسب حب وولاء الناس[١] وبذلك يكون قد أمَّن نفسه داخليا إلا أنه لم يعلن انفصاله عن الدولة الموحدية، وجاءته الفرصة فارضة نفسها عليه، حيث قام الخليفة المأمون بإرسال عمال لتونس بعد أن قتل أعدادا كبيرة من شيوخ الموحدين[٢] فآنف أبو زكرياء من ذلك، واعتبر هذا تعديا عليه وتدخلا مباشرة فى شئون إمارته، فعارضهم وردهم من حيث أتوا[٣]. وكانت هذه الفرصة غنيمة بأن يعلن أبو زكرياء انفصاله عن الخلافة الموحدية، حيث كثرة الفتن والحقودات من القبائل على الدولة[٤]، وكثر أهل البغى

(١) ابن القنفذ: الفارسية، ص١٠٨، نجد أنه عندما دخل تونس قضى على الفساد وعلى جميع أعمال أخيه عبو الفاسدة مثل الكاتب أبى عمر طرا من الأندلس، وجعل له كتابا واستندوا ببحوث من موسى التنامى وهذا يدل على نيته مسبقا فى إقامة دولة منفصلة عن الموحدين راجع ابن خلدون، العبر، مج٦، ج١٢، ص٥٩٣ - ٥٩٤.

(٢) حيث نجد أن الخليفة المأمون قتل عددا كبير من شيوخ الدولة الموحدية وألغى الدعوة الموحدية رسميًا، وانتقد المهدى بن تومرت والعقيدة الموحدية علانية واستحدث نصوص جديدة فى العقيدة الموحدية وأمر بإقامة الأذان للصلاة بالغة البربرية، وخالف النفوذ الموحدية وأزال من عليها اسم الموحدية، ومنع ذكر اسمه فى صلاه الجمعة، وسب المهدى جهارا وبهذا الغى المذهب ألموحدى وبالتإلى كانت المعارضة ضده أشد. راجع ابن القنفذ: الفارسية، ص١٠٨، الزركشي: المصدر السابق، ص٢٣، ٢٤، ابن خلدون: العبر، مج٦، ج١٢، ص٥٩٤.

(٣) ابن القنفذ: الفارسية، ص١٠٨، الزركشي: المصدر السابق، ص٢٤، ابن أبى الضياف: المصدر السابق، ص١٩٧.

(٤) أبو عبد الله محمد بن محمد بن غازى المكناس: الروض الهتون فى أخبار مكناسه

وقطاع الطرق والمفسدون فى أقطار المغرب[١] واضطربت الأحوال السياسية، وصاحب ذلك غلاء شديد، وعمَّ الخراب البلاد[٢] وانقطع الحرث بسبب الإهمال والفساد[٣] فزادت الفوضى وظهرت الرشاوى، وظل بيت المال الموحدى خاويًا، وعجزت الدولة عن دفع مرتبات الجند فاختل الأمن بمدن المغرب[٤] فهدمت وخربت مدينة كمتلة القديمة[٥] وكذلك البساتين واستمر ذلك عشرين عاما[٦] وتهدم جامع حسان(*) فى الرباط[٧] وخربت مدينة مغلية

الزيتون،مخطوط مصور ميكروفيلم بمعهد المخطوطات جامعه الدول العربية عن الخزانة العامة بالرباط،تاريخ تيمور،رقم١٦٨٦، ورقه١٣،على بن أبى زرع:الذخيرة السنية فى أخبار الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة و الوراقة الرباط ١٩٧٢، ص٣٦ فهمى الجزايري: الجزائر أرض البطولة، القاهرة، (د – ت) ص٢٩٠.

(١) المراكشى (أبو عبد الله محمد عبد الملك الأنصارى): الذيل والتكملة لكتابى الموصل والصلة، تحقيق محمد بن شريفه، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ١٩٨٤، السفر الثامن، ج١، ص١٧٦.

(٢) السلاوة: الاستقصا، ج٢، ص٢٠٨.

(٣) ابن أبى زرع: الذخيرة، ص٣٦.

(٤) المراكشي: الذيل والتكملة،السفر الثامن، ج١، ص١٧٩.

(٥) ابن غازي: الروض الهتون، مخطوط، ورقه١٢.

(٦) على الجزنائي: جنى زهره الأس فى بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية بالرباط١٩٦٧، ٤٥.

(*) جامع حسان: هو مسجد كبير وعظيم واسع الفناء جدا، بناه أبو يعقوب ألموحدى له مآذنه فى نهاية العلو على:

Marcais (Georges): l'architectare musulmanen d'occident , paris,١٩٥٤,p.٢٠٩

(٧) السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، العصر الإسلامى، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٦ص٨٤٧- ٨٥٠.

نهائيا[١] وهُزِمَوا فى العقاب ٦١٠هـ/١٢١٣م[٢].

وطول فترة الصراع والحرب مع المرينين[٣] كل هذه الظروف شجعته على خلع بيعته للمأمون وإسقاطها دون أى خوف أو هيبة للدولة الموحدية الممزقة، وأمَّن نفسه بمبايعة يحيى الناصر ابن أخ المأمون وذكر اسمه فى الخطبة[٤].

وعندما ظهر له ضعف الخليفة الناصر أسقط ذكره فى الخطبة، وذكر اسم

---

(١) مغيلة: مدينة قديمة بناها الرومان على قمة الجبال المطلة على فأس من جهة الشرق ويزرع بها شجرة الزيتون والقمح والبابوخ والكارويا: راجع مرمول كربخال: إفريقيا ترجمه عن الفرنسية، محمد حجي، محمد زنبير، دار المعرفة للنشر، المغرب ٩٨٤، ج٢، ص١٨٤.

(٢) المراكشي: المعجب ص٤٠١-٤٠٣،ابن أبى زرع: الأنيس المطرب،ص٢٣٩، مراجع عقيلة، المرجع السابق ص٢٦٥، حسن الخربوطلي، الإسلام فى حوض البحر المتوسط، دار العلم للملايين ط١، بيروت ١٩٧٠،ص١٦٥،محمد بن عبد السلام بن عبود: تاريخ المغرب، دار الطباعة المغربية، تطوان، ط٢ ١٩٥٧،ج١، ص١٧٥، العروى المرجع السابق، ص١٩٣.

(٣) حيث ظل الصراع المرير بينهم حوالى ثمانية وخمسون عاما، راجع: عبد الوهاب بن منصور: قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط،١٩٦٨،ج١، ص،محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامى فى الأندلس فى العصر المرينى، دار القلم الكويت،١٩٨٥ص١٠، عطا على شحاتة ريه: اليهود فى بلاد المغرب فى عهد المرينين والوطاسيين دار الحكمة، سوريا ط١٩٩٩ص٣٧، زاهر رياض، شمال إفريقيا فى العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية،١٩٨٠ص١٩٤.

- Imperial claudio: relations diplo maticas de malloracyaragon con ELafrica seotmn trional durante- edadmedia.barcelona.١٩٠٤, p٥٨.

- John Iliffe, Africans: The History of A Continent, Univ. Press, Cambridge, ١٩٩٥. P. ٤٥.

(٤) ابن القنفذ: الفارسية ص١٠٨، الزركشي، المصدر السابق،ص٢٤ ابن خلدون، العبر مج٦ج١٢ص٥٩٤.

الخلفاء الراشدين والأمام المهدي، واتخذ لقب أمير وإعلان استقلاله عن السلطة المركزية القائمة بالمغرب الأقصى، وصك اسمه على العملة الرسمية للإمارة وذلك منذ سنة ٦٣٤هـ/١٢٣٦م[١] وبدأ توسعته الخارجية باستيلائه على قسطنطينية فى ٢٦ شعبان ٦٢٦هـ /١٢٢٨م وطرد حاكمها من الموحدين، وكذلك بجاية عين عليها ولاه من جانبه وتحت سيطرته[٢] ويكون من قرابته[٣] وكذلك فتح تلمسان[٤] فتوافدت عليه وفود البلاد المختلفة

(١) الزركشي: المصدر السابق، ص٢٤، ابن القنفذ: الفارسية ص٦٠٨ ونلاحظ هنا أن أبو زكرياء ظل يحيى شعائر وتعالى الإمام المهدى ويذكر اسمه فى الخطبة من أجل استمالة القبائل الموحدية ليكون الوريث الشرعى للموحدين بإفريقية وهذا يعتبر فطنة منه من أجل الحفاظ على إمارة الناشئة وكذلك لقب بأمير فقط حرصا على عدم معاونة للسلطة وشيوخ الموحدين على الملأ وذلك لنيل رضاهم لخطوه أعظم.

(٢) ابن عذارى: البيان المغربي، قسم الموحدين، ص٢٩٣، ابن خلدون: العبر، مج٦،ج٢،ص٥٩٥- ٥٩٦ الزركشى، المصدر السابق، ص٢٨،٢٥ابن القنفذ: الفارسية ص١٠٨، عمار بوحوش: التاريخ السياسى للجزائر من البداية ولغاية ١٩٦٢، دار الغرب الإسلامي، د.ت، ص٤٣.

(٣) ابن خلدون: العبر مج ٦،ج١٢، ص٥٩٤- ٥٩٥ طاهر راتب المرجع السابق ص٩٥،كان وإلى قسنطينة السيد بن السيد ابن عبد الله الخرصافى بن يوسف العشرى / وولى عليها ابن النعمان،وقبض على والى بجاية السيد أبى عمران ابن السيد ابن عبد الله الخرصافى وولى أخاه أبا عبد الله الليحانى عليها راجع ابن خلدون، العبر مج،٦ج،١٢ص٥٥٩ – ٥٩٦.

(٤) عندما دخل أبو زكرياء تلمسان فى شهر شوال سنه ٦٣٩هـ هرب صاحبها يغمراسن بن زيان العبد الوادى، ثم سرعان ما أرسل رغبنه فى الدعوة تلمسان إلى أبى زكرياء وتوسطت أم يغمراسن فأحسن لها وأكرمها ثم رد يغمراسن إلى تلمسان راجع الزركشى: المصدر السابق ص٢٩، ابن القنفذ، الفارسية ص١٠٩، ابن الضياف، المصدر السابق ص١٩٧، ابن الشماع المصدر السابق ص٥٩، الوزير السراج، الحلل،ص١٤٤.

لمبايعته[١] ورتب أحوال البلاد وأمن الرعية والبلاد فشعر الناس بالأمان ، فكسب محبة الناس[٢].

فاستقرت الأحوال، وازدهرت البلاد وعين الوزراء فى عهده[٣] فانتعشت الحالة الاقتصادية للبلاد حتى توفى أبو زكرياء عام ٦٤٧هـ /١٢٤٩م[٤] وتولى الحكم بعده ابنه ووريثه ابن عبد الله محمد بن يحيى واتخذ لنفسه لقب المستنصر بالله ولقب بأمير المؤمنين[٥] وفى عهده ظهر أول خلاف داخلى للأسرة الحاكمة حيث ثار عليه ابن عمه محمد اللحيانى[٦] وكثر فى عهده إيذاء وتعذيب الكتاب والعمال فقتل ابن الآبار[٧] والنحوى ابن عصفور[١] والليانى[٢] وكثرت - أيضا - الثورات[٣]

(١) حيث بايعته بالنسيه ٦٣٦هـ /١٢٣٧م، إشبيلية وغرناطة والمرية عام ٦٤٣هـ/١٢٤٤م، وسجلماسه عام ٦٤٠هـ ١٢٤١م وغيرهما. راجع ابن خلدون: العبر، مج٦،ج١٢، ص٦٠٠ – ٦٠٥، ابن القنفذ، الفارسية ص١٠٩، ابن أبى دينار، المؤنس، ص١٥٥ – ١٥٦، الوزير السراج الحلل ص ١٤٤- ١٤٥، ابن الضياف، المصدر السابق ص١٩٧، ابن الشماع، المصدر السابق ص٥٩- ٦٠.

(٢) منى السيد عبد العزيز المرجع السابق،ص٥٩- ٦٠

(٣) ابن القنفذ: الفارسية ص١١٥ – ١١٦، الزركشي، المصدر السابق ص ٢٥- ٢٦.

(٤) ابن خلدون: العبر، مج ٦،ج١٢،ص٦٢٤، الزركشي، المصدر السابق ص٣٢، الوزير السراج: الحلل،ص١٤٥.

- Jamil Abun Nasr, op.cit., P. ١١٩.

- L.P. Harvey: op.cit., P. ١٢٣.

(٥) ابن خلدون: العبر، مج ٦،ج١٢، ص٦٢٦، المطوي: السلطنة،ص١٧٣.

(٦) ابن خلدون: العبر، مج٦، ج١٢ص٦٢٧ – ٦٢٨ المطوى، السلطنة،ص١٧٧.

(٧) ابن الآبار هو أبو عبد الله بن عبد لله بن أبى بكر بن عبد الله عبد الرحمن بن أحمد بن أبى بكر القضامى الشهير بابن الآبار المنوفى ٦٥٨هـ من بلنسيه وسار مع وفد من بلنسيه لمبايعة

ابن عصفور[١] والليانى[٢] وكثرت - أيضا - الثورات[٣] ونزل الفرنجة تونس[٤] وبلغت الدولة أوج ازدهارها العمرانى والثقافي[٥]، ودخل أهل مكة فى الدعوة الحفصية[٦]، كذلك بنو مرين وملوك السودان[٧] وتمتعت البلاد

أبى زكرياء يحيى بن عبد الواحد ابن أبى حفص واستصرفه لرفع الآسيان بقصيدته المشهورة: أدرك بخيلك خيل الله أندلسا أن السبيل إلى منياتها درسا. راجع المقري(أحمد بن المقرى التلمسانى): نفح الطيب فى غصن الأندلس الرطيب، ت: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨ج٣، ص٣٤٨- ٣٥٠، أزهار الرياض فى أخبار عياض، ت مصطفى السقا وآخرون، طبعة دولة الإمارات، ط ٢، ١٩٨٤، ج٣، ص ٢٠٥؛ ابن الآبار: الحلة السيراء، ج١، ص٥٦٠٧، ابن أبى الضياف: إتحاف أهل الزمان، ص٢٠٥.

(١) ابن عصفور: هو أبو الحسن على بن مؤمن بن محمد الخضرمى عرف بابن عصفور من أهل أشبيلية رجع بين الحفظ والإتقان وفصاحة اللسان وارتحل إلى العدو واستوطن بجاية، راجع الغبرينى (ابو العباس أحمد بن محمد الغبرينى): عنوان الدراية فيما عرف من العلماء فى المائة السابعة ببجاية، ت رابح بو نار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د-ت)، ص٢٦٦ -٢٦٨، السيوطى، بغيه الوعاه ص٣٥٧.

(٢) ابن خلدون:العبر مج٦،ج١٢، ص٦٥٦ هو أبو العباس أحمد الليانى من المهدية من ضيعه من ضياعها اسمها لبانه نال ديوان البحر، ألا أن بعض الناس، وتكلم عنه للسلطان بعض الحاقدين عليه، بأنه يخزن الأموال مزعما للقيام بثورة فى المهدية، راجع الزركشى: المصدر السابق ص٣٦- ٣٧، ابن أبى الضياف اتحاف أهل الزمان،ص٢٠٥ -٢٠٦.

(٣) ابن خلدون:العبر، مج ٦،ج١٢، ص ٦٢٧، الزركشي: المصدر السابق ص٣٣.

(٤) ابن خلدون: مج٦، ج١٢، ص٦٦٣- ٦٧٤، الزركشي: المصدر السابق، ص٣٥.

(٥) ابن خلدون: العبر، مج ٦،ج ١٢، ص٦٢٨ – ٦٣١ ابن أبى الضياف: المصدر السابق ص٢٠٤.

(٦) ابن خلدون: العبر، مج ٦،ج ١٢، ص ٦٣٤- ٦٥١.

(٧) ابن خلدون: العبر، مج٦،ج١٢،ص٦٥١- ٦٥٢، ابن أبى الضياف، المصدر السابق ص٢٠٤.

بحالة من الرخاء نظرا للاهتمام بالرقعة الزراعية، وزيادة الأرض المنزرعة[١] وكانت أيام المستنصر أجمل وأفضل أيام الدولة الحفصية حيث ازدهرت فيها الحضارة، ولبس الناس أجمل وأنيق الملابس، وبنو أجمل المبانى وكثر ترف سكانها[٢] وكانت وفاة المستنصر يوم الأحد الرابع عشر من جمادى الآخر سنه ٦٧٥هـ - نوفمبر ١٢٧٦م[٣] وانتهت معه كل إنجازاته.

تولى بعده ابنه الواثق، وكانت خلافته بداية الهون والضعف والانهيار للدولة الحفصية، حيث تولى بعده حكم تونس ثلاثة عشر سلطانا حفصيا يتميزون بالضعف والانحلال والتفكك، فنجد أن عهد الواثق الذى انغمس فى حياة اللهو والفساد وبناء أفخم الأثاث والقصور، وسيطر الوزراء والحجاب على الدولة مما أدى إلى قيام انقلاب راح ضحيته السلطان الواثق ووزيره[٤]. وتولى أبو إسحاق إبراهيم حكم الدولة الحفصية وزاد الدولة ضعفا على ضعف حيث استولى الأعراب على القرى والمنازل ونهبوا الأموال والحريم، وثبت لهم السلطان البلاد الغربية المعروفة (بالظهائر) وقلت

(١) التجاني: الرحلة، ص١١٩، ابن خلدون، العبر، مج ٦، ج١٢، ص ٦٨٢.

- Jamil Abun Nasr, op.cit., P. ١٢٠-١٢١.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج٦، ج١٢، ص ٦٢٧.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج٦، ج ١٢، ص٦٧٥.

- Mas – latrie: De Mas Latrie: Les relations des chretiens avec las Arabes de L'Afrique Feeptetrionale au moyen age, Paris, ١٨٦٦. P. ١٤٤.

(٤) ابن خلدون: العبر مج٦،ج١٢،ص٦٨٢، الزركشى: المصدر السابق ص٤٢، ابن أبى الضياف، المصدر السابق ص ٢٠٨، الوزير السراج، الحلل ص١٥٤، ابن الشماع، المصدر السابق ص٧٥.

المجابى، وكثر الإخراج والإنفاق فى عهده[١] وهذا أكبر دليل على ضعف السلطان وقله حيلته ضدهم، بل زاد من ضعفه حتى ادَّعى ابن عماره القرابة من السلطان الواثق على أنه ابنه الفصل[٢] وتولى حكم الدولة الحفصية في٢٧ من شوال عام ٦٨١هـ بعد فرار السلطان أبى إسحاق[٣] وهزيمة ابنه الأمير أبى فارس صاحب بجايه فى معركة مرما جنه عام٦٨٢هـ[٤] ولكن الأمير أبا حفص بن أبى زكرياء لم يهدأ حتى قضى على الداعي، فى ليله الاثنين الثالث والعشرين من ربيع الآخر ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م[٥]. فحاول أبو حفص أن يبتعد عن سياسة الانتقام، ولم يوقع أى عقوبات على أحد بعد دخول تونس[٦]. ولم يستطع أن يحافظ على وحده الأراضى الحفصية نتيجه للخلافات

(١) ابن القنفذ: الفارسية ص١٣٩، الزركشى، المصدر السابق ص٤٣.

(٢) ابن خلدون: العبر،مج ٦،ج١٢،ص٦٨٩، الزركشى: المصدر السابق ص٤٦، ابن أبى الضياف:المصدر السابق ص١٦٢.

- Jamil Abun Nasr, op.cit., P. ١٢٤.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج٦،ج،١٢ص٦٩٢، الزركشى: المصدر السابق، ابن الشماع، المصدر السابق ص٧٨.

(٤) ابن خلدون: العبر،مج،٦ج،١٢ص٦٩٣، الزركشى: المصدر السابق ص٤٨، يذكر الزركشى اسم المكان بفج الابيار قرب قلعه سنان،ويذكر ابن القنفذ فى الفارسية ص١٤٣،بان المكان وطن قلعه سنان

- M – mas – latrie: traites. depaix et de commerce. p. ١٤٦.

(٥) ابن خلدون: العبر، مج٦،ج١٢،ص٦٩٦، الزركشي: المصدر السابق ص٤٧ –٤٨، المطوى، السلطنة ص٢٦٤

(٦) الزركشي: المصدر السابق ص٥٠، ابن القنفذ، الفارسية ص٤٦، ابن دينار:المؤنس ص١٦٢.

والانقسامات[١]. ونزل المسيحيون جربة عام ٦٨٨هـ /١٢٨٩م لانشغاله بالثورات الداخلية[٢] وحصلت مملكه راجون على امتيازات فى عهده[٣].وبلغ بالسلطة المركزية الحفصية سلاطين ووزراء الوهن والعجز عن التصدى بكل هذه الإخطار[٤].

وجاء بعده أبو عصيدة[٥] (٦٩٤-٧٠٩هـ)-(١٢٩٥-١٣٠٩م)ولصغر سنه لم يستطع أن يتحمل ملك الدولة الحفصية، مما جعل وزرائه (أبو زكرياء وابن إبراهيم والسلطان الحفصي) يفعلون ما يروق لهم، واشتد بينهم التنافس، واضطربت الأحوال فى المغرب الإسلامى بين مرينى وحفصى وزياني، فبثوا الرعب والخوف وقتل الأهالى والتنكيل بهم، وارتكبت القوى المتنافسة أعمال فظيعة هلعت منها النفوس[٦] وجاء أبو

(١) ابن خلدون: العبر، مج٦ ج ١٢،ص٧٠٢،٧٠١، ابن القنفذ: الفارسية ص١٤٩.

(٢) التجاني: الرحلة،ص١٢٦، ابن خلدون: العبر، مج٦،ج١٢،ص٦٩٧ -٦٩٨، ابن القنفذ، الفارسية ص١٥٠.

(٣) برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص٩٤ – ٩٥، المطوى: السلطنة، ص ٢٧٦ -٢٧٧.

(٤) المطوي: السلطنة ص٢٧٩.

(٥) أبو عصيدة: هو ابن المولى أبى زكريا يحى بن المستنصر بالله بن المولى عبدالواحد بن أبى بك بن الشيخ أبى حفص عمر بويع آخر ذى الحجة عام ٦٩٤ هـ وسمى أبى عصيدة؛ لأنه عندما قتل والده وأخواته هربت إحدى الجوارى به وقد اشتملت منه على حمل، وذهبت للشيخ المرجانى وعق عنه الشيخ وأطعم الفقراء عصيدة الحنطة وسماه محمد وكناه بأبى عصيدة راجع الزركشى المصدر السابق ص ٥٣، ابن أبى دينار:المصدر السابق، ص ١٦٣،ابن الشماع:المصدر السابق ص ٨٣.

(٦) ابن خلدون: العبر، مج٦،ج١٢،ص٧١٣، برنشفيك، المرجع السابق ج١،ص١١٢.

البقاء خالد[١] وهاجم تونس سنه ٧٠٦هـ ١٣٠٩م، واستطاع توحيد الحفصيين لمدة عامين[٢] ثم تولى حكم الدولة سلاطين الضعف والانهيار من سنة (٧١١ -٧١٨ م) - (١٣١١ -١٣١٨م) فتولى الحكم أبو يحيى بن أبي بكر[٣] واستطاع من المحافظة عليه إلى سنة ٧٤٧ هـ / ١٣٤٦ م[٤] وبعد وفاته فى شهر رجب عام ٧٤٧ هـ / ١٣٤٥م[٥] تحرك السلطان أبو

(١) أبو البقاء خالد: هو بن المولى أبى إسحاق إبراهيم بن أبى يحيى أبى بكر بن أبى زكريا يحيى بن المولى إبراهيم بن أبى يحيى زكريا المستنصر جلس بعد موت أبيه وحجب له أحمد المالقى راجع الزركشى:المصدر السابق ص ١٠٤ ابن أبى دينار: المصدر السابق ص ١٧٢.

(٢) الزركشي: المصدر السابق ص٥٨، المطوي: السلطة،ص٣٠٧ولكن أبو البقاء سرعان ما ظهر له منافسون على العرش الحفصي، مما ساهم إلى عزله ملكه. وذلك بسبب انحرافه وملذاته وشهواته مما اضعف قوه الدولة. راجع ابن خلدون: العبر مج،٦، ج١٢، ص٧٣٦.

(٣) أبو يحيى أبو بكر:-هو ابن المولى أبى يحيى أبى بكر ابن المولى أبى زكريا ابن المولى أبى إسحاق إبراهيم ابن المولى أبى زكريا ابن المولى أبى عبد الله محمد المستنصر أبى زكريا ابن عبد الواحد ابن أبى بكر ابن الشيخ أبى حفص عمر الهنتاتى. راجع الزركشى: المصدر السابق ص ٦٣، ابن الشماع:المصدر السابق، ص ٨٨-٨٩،ابن أبى دينار:المصدر السابق ص ١٦٥-١٦٦.

(٤) الزركشي: المصدر السابق ص٨٠، ابن خلدون:العبر، مج٦،ج١٢،ص٨٠٨.

(٥) بعد وفاة السلطان أبى يحيى بن أبى بكر حدثت فتنه فى تونس وصراع على العرش لان أبناءه لم ينفذوا وصيته فى ولاية العهد لابنه أبى العباس أحمد الذى استنجد بالسلطان أبى الحسن المرينى فوافق على التحرك إليه،. راجع: ابن خلدون: العبر مج٦ج١٢ص، السلاوى: الاستقصا،ج٣،ص١٥٤، الزركشي: المصدر السابق ص٨٢، القلقشندى، صبح الأعشى، ج٥،ص١٢٥ -١٢٦،بر نشفيك: المرجع السابق، ج٢،ص١٩٦، عبد الهادى التازى: التاريخ الدبلوماسى للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، المغرب،(عهد بنى مرين و الوطاسيين)،١٩٨٨،ج٧،ص٢٨،ابن القنفذ: الفارسية، ص١٦٨.

الحسن المريني[١] نحو إفريقية فى صفر عام ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م فأعلنت كثير من القبائل والمدن ولائها له[٢] ودخل أبو الحسن المرينى تونس التى فتحت أبوابها دون أية مقاومة من السلطان الحفصى ووزرائه عام ٧٤٩هـ/١٣٤٨م[٣]

(١) أبو الحسن المرينى:- هو أعظم ملوك المغرب وبنى مرين وأفخمهم وأكثرهم أثارا بالمغرب والأندلس،ويعرف عند العامة بالأكحل. راجع ابن مرزوق (محمد بن مرزوق التلمسانى): المسند الصحيح الحسن فى مآثر ومحاسن مولانا أبى الحسن، دراسة وتحقيق ماريه خيسوسى بيغيرا، تقديم محمود بوعياد،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر، ١٩٨١ ص ١١٧ ـ ١١٨؛على الجزنائى:جنى زهرة الاس فى بناء مدينة فاس،المغرب ١٩٦٧،ص ٢٩ هامش، محمد بن القاسم الأنصارى السبتى:اختصار الاخبار عما كان بسبته من سنى الآثار، ت عبدالوهاب بن منصور المطبعة الملكية، ١٩٦٩، ص ٣٠؛البلوى(خالد بن عيسى البلوى): تاج المفرق فى تحليه علماء المشرق، تحقيق وتقديم الحسن السائح،مطبعة فضاله المحمدية،المغرب،(دـ ت)، ج ١، ص ١٤٩؛عبدالله الأنصارى (ابى عبدالله محمد الانصارى):فهرست الرصاع، ت محمد العنباى،المكتبة العتيقة،تونس، ١٩٨٧،ص ٢٨ هامش.

(٢) ابن خلدون: العبر،مج٧،ص، السلاوى: الاستقصا،ج٣،ص١٥٥، الزركشى: المصدر السابق ص٨٢، محمود مقديش:نزهة الانظار فى عجائب التواريخ والاخبار، ت على الزارى، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامى، ط ١، بيروت، لبنان، ١٩٨٨،ج١،ص٥٢٧، إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، عرض لاحداث المغرب وتطوراته فى الميادين السياسية والدينية والاجتماعيه والعمرانية والفكريه منذ ما قبل الإسلام الى العصر الحاضر، دار الرشاد الحديثة،الدار البيضاء،١٩٩٣ ج٢،ص٣٩، عاشور بوشامه: المرجع السابق ص١٩٤،عبدالفتاح مقلد الغنيمى:موسوعه المغرب،مكتبة مدبولى، القاهرة،١٩٩٤، م٣،ج٥،ص٢٥٧، عبد العزيز فيلالى: محمد الهادى العروق:مدينة قسنطينة دراسة التطور التاريخى ولييه الطبيعة، قسنطينة، تونس، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م – ط ١ ص٦٩ – ٧٠.

- Hirshberg: A history of the jews in North Africa, Brill. ١٩٧٤, P. ٣٦٦.

(٣) دخل السلطان أبو الحسن المرينى تونس وكان معه الأمير الحفصى أبو عبد الله اخو السلطان

وظلوا يحكمون تونس حتى استطاع أبو العباس الفضل الحفصى من توحيد صفوف الحفصيين والعرب الذين نقضوا عهدهم للسلطان أبى الحسن المريني[١] مما جعله يعود للمغرب فى أوائل ٧٥٠هـ تاركا ابنه أبا عنان واليًا على تونس، ولكن أبا العباس انتزع الحكم من بنى مرين وأنهى الوجود المرينى فى إفريقية الذى استمر عامين وستة أشهر وخمسة عشر يوما[٢] وكرر المرينيون الكره مرة أخرى فى عهد أبى عنان المرينى الذى استولى على بجاية ٧٥٤هـ / ١٣٥٣م[٣] وفتحوا قسطنطينية عام ٧٥٨ هـ / ١٣٥٧م[٤] ودخلوا تونس فى

أبى يحيى الحفصي.

- راجع ابن خلدون: العبر،مج٧،ج١٣، ص، السلاوى: المصدر السابق ج٣،ص١٥٦، الأنصارى: فهرست الرصاع، هامش (٥) ص٢٨، عبد الهادى النازي: التاريخ الدبلوماسى م٧،ص٢٨، الميلى: التاريخ الجزائرى ص٧٤٩، دائرة المعارف الإسلامية ص٢٧، ص٨٤٤٧، برنشفيك: ج٢،ص١٩٧، مار مول كربخال: أفريقيا، ترجمه عن الفرنسية محمد حجى،ومحمد زنبير وآخرون،دار المعرفة، المغرب ١٩٨٨ - ١٩٨٩ج٣، ص٤٧٥، الدولاتى، مدينة تونس ص٦٢.

(١) الزرهوني: ملعبه الكفيف الزرهونى، تقديم وتحقيق وتعليق محمد بن شريفة، المطبعة الملكية الرباط،١٩٨٧ ص١٣٤، السلاوي: الاستقصا، ج٣،ص١٦٣،شارل اندريه جوليان، تاريخ أفريقيا الشمالية. (تونس - الجزائر - المغرب الأقصى من الفتح الإسلامى إلى سنة١٨٣٠) ترجمه محمد مزالى،البشير بن سلامة،الدار التونسية للنشر ١٩٨٧ج٢،ص١٨٤.

(٢) ابن أبى دينار: المصدر السابق، ص ١٦٩، الزركشي: المصدر السابق، ص ١٦٧، القلقشندى، صبح الأعشى،ج٥، ص١٢٧، عاشور أبو شامه، المرجع السابق، ص١٩٩.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج٧، جـ١١٣، ص٦١٨، السلاوي: الاستقصا،ج٣، ص١٨٧، ابراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، ج٢، ص٤٥، ابن دينار: المصدر السابق، ص ١٧١.

(٤) مقديش: المصدر السابق، ص ٥٣١، الغنيمى، المرجع السابق م ٣،ج٥، ص ٣١٤.

رمضان عام ٧٥٨هـ / ١٣٥٦م وأقاموا الدعوة المرينية[١]، ولكن لم تستمر هذه الحملة الطويلة حتى ثار أهل تونس على بقية المرينيين بعد رجوع أبى عنان إلى المغرب حيث انصرف عنه جنوده[٢] وتم استرداد مدينة بجاية عام ٧٥٩هـ / ١٣٥٧م[٣] وكذلك مدينة قسطنطينية عام ٧٦١هـ / ١٣٧٩م[٤] وهكذا تم توحيد البلاد والسلطة الحفصية.

وصاحب هذه الفترة من التاريخ الحفصى، فتره عصيبة سادها الإضراب، وعدم الاستقرار وذلك بسبب كثره الحروب والغزوات فأثرت بالطبع على حياة وأمن السكان وانعكس ذلك على الأسعار[٥] ولكن مع بداية عام ٧٧٢هـ / ١٣٧٠م بداية الاستقرار والأمن والوحدة بين أراضى الحفصيين فى إفريقية، حيث تولى الحكم السلطان أبو العباس أحمد القسطنطينى (٧٧٢- ٧٩٦هـ) وأعاد

(١) ابن خلدون: العبر، مج٧، ص٦١٩، السلاوي: الاستقصا ج٣ص٢٠٢، ابن أبى دينار، المصدر السابق ص ١٧، مقديش: المصدر السابق ج١، ص ٥٨٢، التازى:المرجع السابق، ج٧،ص ٢٣٤،إحسان حقى، المغرب العربى، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر بيروت،(د - ت) ص ٩٤ - ٩٥،جوليان: المرجع السابق، ج ٢ص ٢٣٤، المطوى: السلطنة ص ٤٢٩.

(٢) الزركشى: المصدر السابق، ص٩٨، ابن القنفذ: الفارسية،ص ١٨٢، ابن دينار، المؤنس ص ١٧١.

(٣) ابن خلدون: العبر،مج٦،ج١٢،ص٨٤٦، الزركشى: المصدر السابق ص٩٩.

(٤) ابن القنفذ: الفارسية،ص١٨٣.

(٥) ابن دينار: المصدر السابق، ص، الزركشي: المصدر السابق ص ٩٥، حيث ارتفع سعر الطعام بتونس إلى أن بلغ فقير القمح احد عشر دينارا ذهبيا والشيعى نصفه راجع الزركشي: نفس المصدر والصفحة.

للدولة هيبتها واستقرارها ووحدتها[١] وسيطر على الأعراب وأعادهم إلى طاعته[٢] وسيطر على مدينة قفصه[٣] وقضى على الفساد وأمن الطرق[٤] وقضى على الفتن الداخلية وعمل على إرساء تقاليد الحكم[٥] ثم تولى بعده ابنه أبو فارس الذى حكم نحو أربعين عاما، (٧٩٦ -٨٣٧ هـ، ١٣٩٤ – ١٤٣٤ م) كانت بمثابة العصر الذهبى للدولة الحفصية[٦].

ثم خلفه فى الحكم حفيده أبو عمرو عثمان[٧] سبقه أبو عبد الله محمد

(١) الزركشى: المصدر السابق ص١٠٩.

(٢)الزركشى: المصدر السابق ص ١٠٧ – ١٠٨ ابن دينار، المصدر السابق.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦،ج١٢،ص٨٧٧ -٨٨، الزركشى: المصدر السابق،ص١٠٩.

(٤) ابن القنفذ: المصدر السابق،ص١٧٧.

(٥) عبد الناصر جبار: بنو حفص والقوى الصليبية فى غرب البحر المتوسط فى القرنين الثامن والتاسع الهجرى ١٥٤٤، النبلاء، رسالة ماجستيرغير منشوره، آداب القاهرة ١٩٩٠ ص٣٥ – ٣٦.

(٦) أبو فارس عبد العزيز ابن المولى السلطان أبى العباس أحمد المولى الأمير أبى عبد الله محمد بن المولى السلطان أبى يحيى أبى بكر ابن الأمير المولى أبى يحيى زكرياء أمه اسمها جوهره بن الحراث المحاميد عبر طرابلس فستولى على تلماس بن سلطان بنى عبد الوأد واستردوا حكم بسابره، ومدينة الجزائر،وتطلع على فاس عاصمة الدولة المرينية الذين أظهروا الولاء للحفصيين وبلغت الدولة الحفصية فى اتساعها جميع بلاد المغرب والأندلس. راجع الزركشي: المصدر السابق، ص ١٤٤، ابن أبى الضياف: المصدر السابق، ص٢٣٠، ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٨٩، ابن دينار، المصدر السابق، ص ١٧٤ – ١٨٦.

(٧) أبو عمرو عثمان: هو ابن المولى عبد الله محمد بن المولى أبى فارس عبد العزيز، اليوم الذى توفى أخوه فيه ولم يتخلف عنه أحد يوم الجمعة الثانى عشر من صفر عام ٨٣٩ هـ واجهته تحديات كثيرة استطاع التغلب عليها حتى وفاته، الزركشي، المصدر السابق ص١٣٤، ابن الشماع: المصدر السابق ص ١٢١-١٢٢.

المنتصر الذى تولى الحكم لفترة قصيرة تزيد قليلا على السنة انتهت بوفاته[١] فحكم حوالى أربعًا وخمسين سنة (٨٣٨ -٨٩٣هـ) - (١٤٣٥ - ١٤٩١م) كأطول سلطان فى تاريخ الدولة الحفصية وصلت فيه الدولة إلى قمة رخائها وازدهارها، حيث سار على درب أبيه فى الداخل والخارج، وقضى على جميع حركات المعارضة داخل الدولة حتى توفى سنه ٨٩٣ هـ / ١٤٩١ م[٢].

وخلاصة القول فنجد أن السلطان أبا العباس أحمد وأحفاده استطاعوا أن يعيدوا وحدة الدولة الحفصية، وإعادة الأمن للبلاد، حيث عاش الناس حياة مليئة بالترف، وظهرت الدولة كأكبر قوه فى المغرب ضمت مع الدولة الزيانية فى تلمسان والمرينية فى المغرب الأقصى، وازدهرت حركة البناء والتعمير ونشطت الحركة الثقافية وذلك بفضل السلاطين الأقوياء معيدا أمجاد الدولة الحفصية فى بدايتها وبعده عصر السلطان أبى العباس أحمد وأحفاده حتى بدأت فتره اتسمت بالوهن الشديد والتخلخل داخل الاسره الحفصية، وبدأت هذه الفترة منذ عام ٨٩٣ هـ ١٤٩١م / ٩٣٥ هـ / ١٥٣١م، وحيث طمع المسيحيون فى أملاك الدولة الحفصية[٣] وباستيلاء الأتراك العثمانيين على

---

(١) ابن الشماع:المصدر السابق، ص ١١٧، ابن دينار، المصدر السابق، ص١٧٧.

(٢) وفيه يقول الشهاب بن الخلوف الشاعر المعروف فى عصره فكان يمدحه بسبب أخلاقه وأعماله مثل مدح المتنبى لسيف الدولة

وغابت علامات الدجى السود عندما ترآت لها رايات شمس الضحى الشحواد

وسلت بريق البرق فى الشرق صارما تفد له اتراس سحب الحيا الخط

- راجع حسن حسنى عبدالوهاب: مجمل تاريخ الأدب التونسى من فجر الفتح العربى إلى العصر الحاضر، مكتبه المنار، تونس ص٢٢٤.

(٣) المطوى: السلطنة، ص ٦٦٩ - ٦٧٧.

تونس بعد وفاة السلطان أبى عبد الله محمد فى ٩٣٢هـ الذى حاول أن ينهض بالدولة الحفصية ويستعيد أمجاد أجداده ولكن ذهبت فى مهب الرياح، وأصبح للحفصيين اسما فقط حتى استولى العثمانيون على تونس نهائيا عام ٩٨١هـ / ١٥٧٤م، وطوت آخر صفحات الدولة الحفصية من الوجود.

وخلاصة القول: يمكن تقسيم الدولة الحفصية إلى أربعة أطوار، فالطور الأول يبدأ من ٦٢٦هـ: ٦٧٥هـ، ١٢٢٨م:١٢٧٧م، حيث رحلة التأسيس ومركزية السلطة وقوه ونفوذ الدولة، السيطرة على الأعراب، وفشل الحملات الصليبية على تونس، ويبدأ الطور الثانى للدولة (٦٧٥هـ ٧٧٢هـ / ١٢٧٧م: ١٣٧٠م) وهى فتره اضطرابات وفوضى وتمرد وعدم استقرار وانقسامات داخل البيت الحفصى، ثم تلتها مرحله ازدهار واستقرار تبدأ من (٧٧٢هـ: ٨٩٢هـ، ١٤٨٦:١٣٧٠م)، حيث ظهرت القوه على السلاطين فى السيطرة على أمور الدولة وتوفير الأمن الذى انعكس على جميع أنشطه الدولة، بداية من وصول السلطان أبى العباس احمد إلى الحكم حتى وفاة حفيده أبى عمرو عثمان، وأخيرًا كانت مرحلة التدهور والانحطاط والزوال (٨٩٢:هـ٩٨٢هـ) – (١٤٨٦م:١٥٧٤م)، حيث التنافس على السلطة والتدخل الأجنبى حتى استيلاء العثمانيين على تونس وغروب نجم الدولة الحفصية.

- J.D. Fage: History of Africa, London and New York, ١٩٩٥, P. ١٨٥, John Iliffe: op.cit., P. ٤٥.

- Wilfrid Knapp: op.cit., P. ٤٨.